النظارة الذهبية

وقصتان أخريان

مغامرات شرلوك هولمز

ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

جميع الحقوق محفوظة : لايجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٢ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٦٠-X

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

السنابل

مغامرات شرلوك هولمز

النظارة الذهبية

وقصتان أخريان

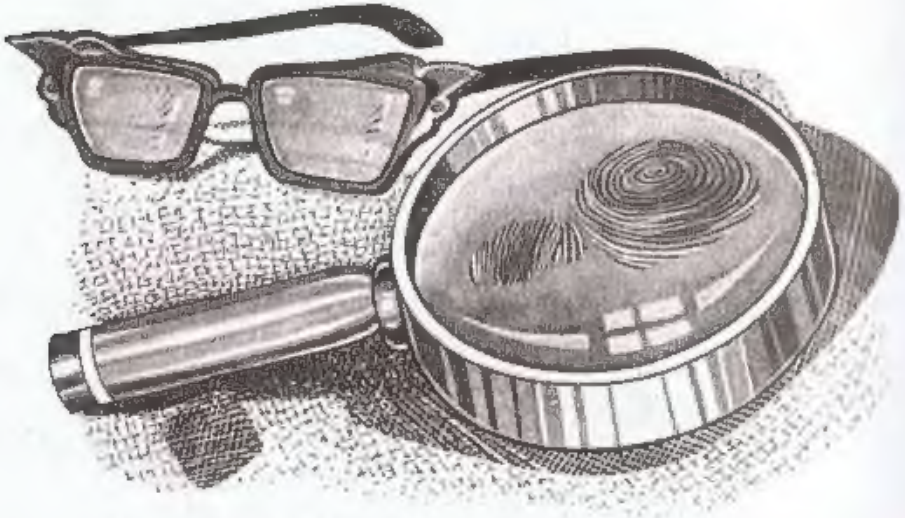

تأليف : آرثر كونان دويل

إعداد : الدكتور محمد محمود رضوان

رسوم : عبد الشافي سيد

مكتبة لبنان

بيروت

مُقَدِّمَةٌ

مُنْذُ سَنَواتٍ مَضَتْ ، كانَ شِرْلُوك هُولمْز يُعَدُّ مِنْ أَذْكى رِجالِ ٱلمَباحِثِ وَ أَوْسَعِهِمْ شُهْرَةً في جَميعِ أَرْجاءِ إنجِلْتِرا . وَ كَثيرًا ما كانَ يَلْجَأُ إِلَيْهِ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ لِيَسْتَعينوا بِهِ في ٱلكَشْفِ عَنْ غُموضِ بَعْضِ ٱلقَضايا .

أَمَّا أَنا ، فَٱسمي دُكْتور واطْسُن . وَ كُنْتُ أُعاوِنُ هُولمْز في كَثيرٍ مِنَ ٱلقَضايا ٱلَّتي يَتَوَلّاها .

وَفي عامِ ١٨٩١ كُنْتُ أَعْمَلُ مَعَ هُولمْز في إِحْدى ٱلقَضايا . وَ كانَ عَلَيْنا أَنْ نُغادِرَ إنجِلْتِرا لِإِنْجازِ بَعْضِ ٱلأُمورِ ، وَ بَيْنَما نَحْنُ في ٱلخارِجِ إِذا بِهُولمْز يَخْتَفي ، وَ ظَنَّ ٱلجَميعُ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ . وَ كُنْتُ أَشَدَّ ٱلنّاسِ أَسَفًا وَ أَسًى بَسَبَبِ ما ٱستَقَرَّ في نَفْسي مِنْ أَنَّ صَديقي هُولمْز قَدْ ماتَ .

وَذاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ عامِ ١٨٩٤ فُوجِئْنا بِعَوْدَةِ هُولمْز إِلى إنجِلْتِرا . إِذًا فَهُوَ لَمْ يَكُنْ في عِدادِ ٱلأَمْواتِ كَما ظَنَّ ٱلكَثيرونَ . وَ كُنْتُ سَعيدًا بِعَوْدَتِهِ وَ بِأَنّي سَأَراهُ ثانِيَةً بَعْدَ غَيْبَةٍ طَويلَةٍ . وَ لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى ٱستَأْنَفْنا ٱلعَمَلَ مَعًا في بَعْضِ ٱلقَضايا . وَ في هٰذِهِ ٱلفَتْرَةِ كانَ هُولمْز – كَمُخْبِرٍ سِرِّيٍّ – أَكْثَرَ مَهارَةً وَ خِبْرَةً مِمّا كانَ مِنْ قَبْلُ .

وَ سَوْفَ أَقُصُّ عَلَيْكَ في هٰذا ٱلكِتابِ ثَلاثًا مِنْ أَحْسَنِ ٱلقَضايا ٱلتي تَوَلّاها

هُولمْز في هٰذِهِ ٱلفَتْرَةِ ، وَهِيَ : « سِرُّ ٱلتَّماثيلِ ٱلسِّتَّةِ » وَ « ٱلبِناءُ ٱلمُخْتَفي » وَ « ٱلنَّظّارَةُ ٱلذَّهَبِيَّةُ » .

آمُلُ أَنْ تَجِدَ في قِراءَتِها لَذَّةً وَ مُتْعَةً .

ٱلدُّكْتور واطْسُن

النظّـــارةُ آلذَّهَبِيَّـــةُ

الفصـــلُ آلأوَّلُ

كانَتْ لَيْلةً عاصِفةً مِنَ آللَّيالي آلأواخِرِ في شَهْرِ نوفمْبر (تِشْرينَ آلثاني) . وَكُنّا – أنا وَشِرْلوك هُولمْز – مُنْهَمِكَيْنِ في آلقِراءةِ قُرْبَ آلمِدْفَأةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَطْرُقُ أسْماعَنا إلّا عَويلُ آلرّيحِ ، وَهُطولُ آلمَطَرِ خارِجَ آلمَنْزِلِ . وكانَ آللَّيْلُ قَدْ أرْخى سُدُولَهُ ، وَأوى آلنّاسُ إلى مَضاجِعِهِمْ .

وَضَعَ هُولمْز كِتابَهُ وَقالَ : «أنا مَسْرورٌ لِأنَّهُ لَيْسَ هُناكَ ما يَضْطَرُّنا إلى آلخُروجِ آللَّيْلَةَ ياوَاطْسُن .»

قُلْتُ : «وَأنا كَذٰلِكَ .»

لَمْ أكَدْ أتِمُّ عِبارَتي حَتّى سَمِعْنا صَوْتَ عَرَبةٍ تَتَوَقَّفُ خارِجَ آلمَنْزِلِ ، وَيَهْبِطُ مِنْها شَخْصٌ ما . فَاتَّجَهْتُ نَحْوَ آلنّافِذةِ وَتَطَلَّعْتُ مِنْ خِلالِ آلظَّلامِ ، وَقُلْتُ : «شَخْصٌ ما قادِمٌ إلَيْنا .»

قالَ هُولمْز : «تُرى مَنْ يَكونُ ؟»

وَسَرْعانَ ما عَرَفْنا شَخْصِيَّةَ زائِرِنا ، وَكانَ سْتانْلي هُوبْكِينْز ، وَهُوَ ضابِطُ مَباحِثَ شابٌّ في سْكُوتْلانْديارْد ، وَأذْكُرُ أنّنا كُنّا قد عاوَنّاهُ في بَعْضِ آلقَضايا فيما مَضى .

قالَ هُولمْز لِلزّائِرِ : «أُدْخُلْ وَآجْلِسْ بِجِوارِ آلمِدْفَأةِ ، فَإنَّ آللَّيْلَةَ شَديدةُ

آلبُرودةِ غَزيرةُ آلمَطَرِ . لابُدَّ أنَّ لَدَيْكَ قَضِيَّةً مُثيرةً لي .»

أجابَ ضابِطُ آلمَباحِثِ : «نَعَمْ . هَلْ رَأيْتَ صُحُفَ آلمَساءِ ياسَيِّدُ هُولمْز ؟»

قالَ هُولمْز : «لا . فَقَدْ كُنْتُ مَشْغولًا بِقِراءةِ كِتابٍ .»

قالَ هُوبْكِينْز : «لا عَلَيْكَ .. إنَّ آلصُّحُفَ لَمْ تَذْكُرْ إلّا بَعْضَ مَعْلوماتٍ قَليلةٍ . فَالقَضِيَّةُ حَديثةٌ جِدًّا ، وَشُرْطةُ يُوكْسلي لَمْ تَسْتَدْعِني إلّا بَعْدَ ظُهْرِ آليَوْمِ .»

سَأَلْتُ الضّابِطَ : «وَأيْنَ يُوكْسلي ؟»

أجابَ : «في مُقاطَعةِ كِنْت ، وَهِيَ مَكانٌ صَغيرٌ جِدًّا . وَعِنْدَما وَصَلْتُ هُناكَ كانَ يُخَيَّلُ إلَيَّ أنَّها سَتَكونُ قَضِيَّةً سَهْلةً ، أمّا آلآنَ فَإنَّها تَبْدو لي في غايةِ آلصُّعوبةِ . فَهُناكَ رَجُلٌ مَيِّتٌ ، وَحَقيقةً لَسْتُ أدْري ، ماآلَّذي يَدْعو إلى قَتْلِهِ .»

قالَ شِرْلوك هُولمْز : «أخْبِرْني بِكُلِّ شَيْءٍ .»

قالَ ضابِطُ آلمَباحِثِ : «يُوكْسلي أُولْد بِلِيس ، مَنْزِلٌ رِيفِيٌّ كَبيرٌ عَلى مَقْرَبةٍ مِنْ قَريةٍ صَغيرةٍ . وَمُنْذُ نَحْوِ عَشْرِ سَنَواتٍ جاءَ رَجُلٌ مُسِنٌّ لِيُقيمَ فيهِ ، هُوَ آلبْروفيسُور كُورام . وَكانَ آلرَّجُلُ مَريضًا لا يَسْتَطيعُ آلسَّيْرَ إلّا مُتَوَكِّئًا عَلى عَصاهُ ، وَلَمْ تَكَدْ تَمْضي أشْهُرٌ قَليلةٌ عَلى قُدومِهِ حَتّى تَوَطَّدَتِ آلصَّداقةُ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ جيرانِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَزوروا مَنْزِلَهُ إِلَّا قَليلًا .

« وَيَتَرَدَّدُ الحَديثُ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهُ رَجُلٌ ذَكِيٌّ ، وَيَقْضي مُعْظَمَ أَوْقاتِهِ عاكِفًا عَلى كُتُبِهِ . وَيَقومُ عَلى قَضاءِ حاجاتِهِ خادِمَتانِ وَبُسْتانِيٌّ . أَمَّا الخادِمَتانِ فَهُما السَّيِّدَةُ مارْكَر الطَّاهِيَةُ ، وَسُوزان تارلْتون . وَالواقِعُ أَنَّهُما خادِمَتانِ طَيِّبَتانِ ، وَقَدْ قَضَتا في خِدْمَتِهِ فَتْرَةً طَويلَةً مِنَ الزَّمانِ .

« كانَ البُروفيسُّور مَشْغولًا بِتَأْليفِ كِتابٍ . وَمُنْذُ عامٍ رَأى أَنَّهُ في حاجَةٍ إِلى سِكْرتيرٍ يُعاوِنُهُ ، وَاسْتَخْدَمَ رَجُلًا لِهٰذِهِ المُهِمَّةِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلى مُسْتَوًى طَيِّبٍ في الكِتابَةِ ، فَلَمْ يَقْضِ إِلَّا فَتْرَةً قَصيرَةً ، وَاسْتَبْدَلَ بِهِ آخَرَ يُدْعى سْمِيث . وَصارَ سْمِيث صَديقًا مُقَرَّبًا مِنْهُ ، وَمُعينًا لَهُ في عَمَلِهِ . وَكانا يَشْتَغِلانِ مَعًا يَوْميًّا حَتَّى كادَ البُروفِيسُّور يَفْرَغُ مِنْ تَأْليفِ الكِتابِ . وَلٰكِنَّ الَّذي حَدَثَ أَخيرًا هُوَ أَنَّ السِّكْرتيرَ الشَّابَّ قَدْ قُتِلَ .

« وَكَما قُلْتُ مِنْ قَبْلُ فَإِنَّهُ لَمْ يَزُرْ هٰذا المَنْزِلَ إِلَّا عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ النَّاسِ ، وَسُكّانُ المَنْزِلِ أَنْفُسُهُمْ لا يُغادِرونَهُ إِلَّا نادِرًا ، وَمِنْ بَيْنِهِمُ الشَّيْخُ الكَبيرُ مُورْتيمَر البُسْتانِيُّ الَّذي يُقيمُ في كُوخٍ بِحَديقَةِ المَنْزِلِ .

« وَيَقَعُ يُوكْسلي أُولْد بْليس قَريبًا مِنَ الطَّريقِ المُؤَدّي إِلى لَنْدَن ، وَلَمَّا كانَتْ بَوّابَةُ الحَديقَةِ مِنَ النَّوْعِ الَّذي يُمْكِنُ فَتْحُهُ بِسُهولَةٍ ، فَإِنَّ مِنَ المَيْسورِ أَنْ يَتَسَلَّلَ أَيُّ شَخْصٍ إِلى الحَديقَةِ ثُمَّ إِلى المَنْزِلِ وَيَهْرُبَ بِمُنْتَهى السُّرْعَةِ .

« لَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَعَ الخادِمَةِ سُوزان تارلْتون ، فَقالَتْ إِنَّها كانَتْ تَعْمَلُ في

إِحْدى غُرَفِ النَّوْمِ بَيْنَ السّاعَةِ الحادِيَةَ عَشْرَةَ وَالثّانِيَةَ عَشْرَةَ هٰذا الصَّباحَ ، وَكانَ البُروفيسُّور كُورام لا يَزالُ في فِراشِهِ لِأَنَّهُ لا يَنْهَضُ في الغالِبِ إِلَّا مُتَأَخِّرًا ، أَمّا سْمِيث فَقَدْ كانَ في حُجْرَةِ نَوْمِهِ يَقْرَأُ كِتابًا . وَأَضافَتِ الخادِمَةُ أَنَّها بَعْدَ بِضْعِ دَقائِقَ سَمِعَتْ وَقْعَ أَقْدامِ سْمِيث وَهُوَ يَهْبِطُ مِنْ حُجْرَتِهِ إِلى الحُجْرَةِ الَّتي يَعْمَلُ فيها عادَةً مَعَ البُروفيسُّور وَفَجْأَةً طَرَقَتْ سَمْعَها صَيْحَةٌ مُدَوِّيَةٌ ، فَنَزَلَتْ عَلى عَجَلٍ إِلى الحُجْرَةِ لِتَجِدَ السَّيِّدَ سْمِيث مُمَدَّدًا عَلى الأَرْضِ ، وَقَدْ أُشْرِفَ عَلى المَوْتِ ، وَفي عُنُقِهِ جُرْحٌ ، وَعَلى الأَرْضِ كَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ مِنَ الدَّمِ . وَقَدْ تَمَكَّنَ السَّيِّدُ سْمِيث أَنْ يَتَفَوَّهَ بِكَلِماتٍ قَليلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ أَنْفاسَهُ الأَخيرَةَ . وَكانَ صَوْتُهُ خافِتًا ، لٰكِنَّ سُوزان تارلْتون تَذْكُرُ أَنَّهُ قالَ : (البُروفيسُّور ، إِنَّها هِيَ ...)

« كانَ لي حَديثٌ بَعْدَ ذٰلِكَ مَعَ الطّاهِيَةِ الَّتي كانَتْ قَدْ وَصَلَتْ إِلى الحُجْرَةِ عَقِبَ مَوْتِ السَّيِّدِ سْمِيث . وَقَدْ سارَعَتِ الِاثْنَتانِ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلى حُجْرَةِ البُروفيسُّور الَّذي كانَ لا يَزالُ في فِراشِهِ ، وَقَدْ أَصابَهُ الفَزَعُ حينَ سَمِعَ الصَّيْحَةَ المُدَوِّيَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطيعُ أَنْ يَنْهَضَ مِنْ فِراشِهِ دونَ أَنْ يُعاوِنَهُ أَحَدٌ ، وَهُوَ – كَما ذَكَرَ – لا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكونَ هُناكَ أَيُّ سَبَبٍ يَدْعو إِلى قَتْلِ السَّيِّدِ سْمِيث .

« وَقَدْ أُبْلِغَ مُورْتيمَر الخَبَرَ إِلى رِجالِ الشُّرْطَةِ الَّذينَ قاموا بِاسْتِدْعائي ، وَعِنْدَما وَصَلْتُ رَأَيْتُ أَنَّ الجَميعَ كانوا حَريصينَ عَلى أَلَّا يَطَأَ أَحَدٌ مَمَرَّ الحَديقَةِ . كَما أَنَّهُمْ لَمْ يُحَرِّكوا أَيَّ شَيْءٍ في المَنْزِلِ مِنْ مَكانِهِ . »

وَها هِيَ ذي خَريطةٌ لِلْمَنْزِلِ وَٱلْحَديقةِ ، أَطْلَعَنا عَلَيْها ستانْلي هُوپْكِينْز :

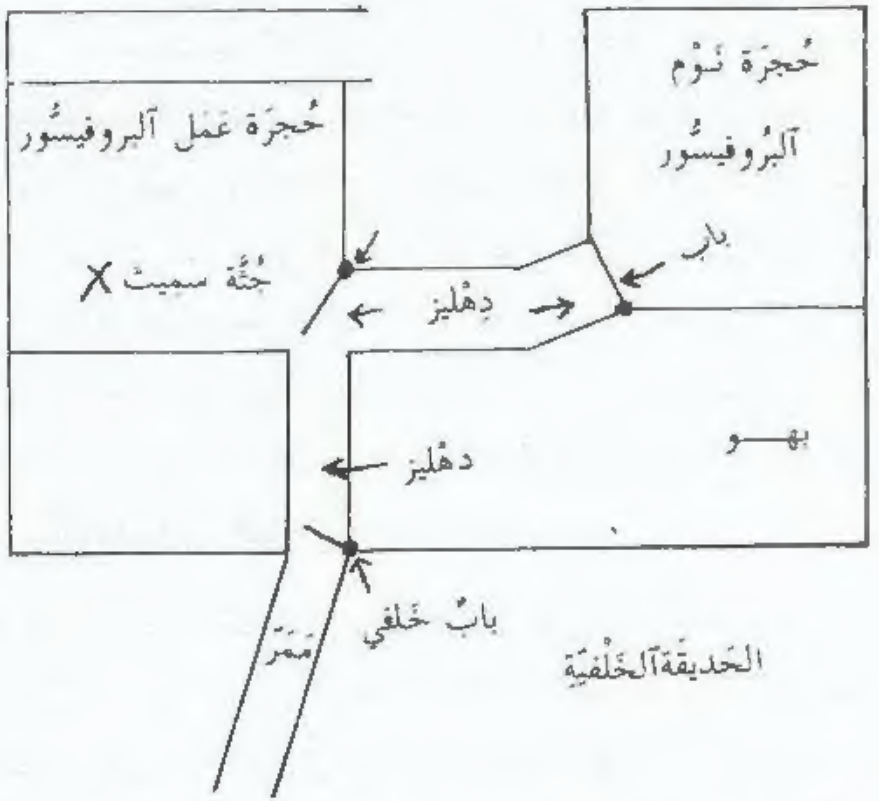

قالَ هُوپْكِينْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّ شَخْصًا شَديدَ ٱلذَّكاءِ قَدْ حَضَرَ إلى ٱلمَنْزِلِ هٰذا ٱلصَّباحَ . صَحيحٌ أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ آثارُ أَقْدامٍ عَلى مَمَرِّ ٱلحَديقةِ ذاتِهِ ، وَلٰكِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى ما يَدُلُّ عَلى أَنَّ شَخْصًا ما قَدْ مَشى عَلى ٱلعُشْبِ ٱلمُمْتَدِّ بِمُحاذاةِ ٱلممَرِّ . وَقَدْ تَعَمَّدَ هٰذا ٱلشَّخْصُ – رَجُلًا كانَ أَمِ ٱمْرَأَةً – أَنْ يُخْفِيَ أَنَّهُ كانَ هُناكَ .

« لَقَدْ ذَهَبْتُ إلى ٱلحُجْرةِ ، وَفَحَصْتُ جُثَّةَ ٱلسَّيِّدِ سْميث ، وَكانَ هُناكَ

سِكِّينٌ صَغيرٌ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ ٱلسِّكِّينُ ٱلَّذي قُتِلَ بِهِ . وَهٰذا ٱلسِّكِّينُ يَمْلِكُهُ ٱلبرُوفيسُور ، وَكانَ دائِمًا يَحْتَفِظُ بِهِ عَلى ٱلمِنْضَدةِ بِهٰذِهِ ٱلحُجْرةِ . وَكانَ ٱلجُرْحُ في جانِبِ عُنُقِ سْميث عَلى مَقْرَبةٍ مِنْ ظَهْرِهِ ؛ وَمِنْ هُنا فَلا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ طَعَنَ نَفْسَهُ . »

قالَ هُولمْز : « لَعَلَّهُ سَقَطَ عَلى ٱلسِّكِّينِ . »

رَدَّ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ : « لا ، لَقَدْ كانَ ٱلسِّكِّينُ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ قَريبًا مِنَ ٱلجُثَّةِ . إنَّ أَهَمَّ شَيْءٍ وَجَدْناهُ هُوَ هٰذا . » وَقَدَّمَ لِهُولمْز نَظّارةً ، فَأَخَذَها وَفَحَصَها بِعِنايةٍ ، وَبَعْدَ لَحَظاتٍ تَناوَلَ قُصاصةَ وَرَقٍ كَتَبَ فيها بَعْضَ ٱلعِباراتِ ، ثُمَّ ناوَلَها لِستانْلي هُوپْكِينْز ٱلَّذي قَرَأَ فيها :

« حاوِلْ أَنْ تَعْثُرَ عَلى سَيِّدةٍ تَمْتَلِكُ ثَروةً ضَخْمةً ، تَلْبَسُ ثِيابًا ثَمينةً وَلَها أَنْفٌ غَليظٌ ، وَعَيْناها مُتَقارِبَتانِ ، تُحَمْلِقُ بِبَصَرِها حينَما تَنْظُرُ إلى أَيِّ شَيْءٍ . وَقَدْ زارَتْ هٰذِهِ ٱلسَّيِّدةُ صانِعَ نَظّاراتٍ مَرَّتَيْنِ عَلى ٱلأَقَلِّ في خِلالِ ٱلشَّهْرَيْنِ ٱلماضِيَيْنِ . أَمّا نَظّارَتُها فَهِيَ مَتينةٌ بِشَكْلٍ غَيْرِ عادِيٍّ ، وَباهِظةُ ٱلثَّمَنِ . وَلَمّا كانَ عَدَدُ صانِعي ٱلنَّظّاراتِ ٱلطِّبِّيَّةِ في لَنْدَن مَحْدودًا ، فَإِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَنْ تَجِدَ صُعوبةً في ٱلِاهْتِداءِ إلَيْها . »

أَخَذَتِ ٱلدَّهْشةُ ضابِطَ ٱلمَباحِثِ ، كَما أَخَذَتْني ، حينَما قَرَأَ عِباراتِ هُولمْز . أَمّا هُولمْز فَقَدْ أَخَذَ يَنْظُرُ إلى وَجْهَيْنا وَهُوَ يَضْحَكُ ، ثُمَّ قالَ :

« إنَّ ٱلنَّظّاراتِ يُمْكِنُ أَنْ تُنْبِئَنا بِالكَثيرِ عَنْ أَصْحابِها ٱلَّذينَ يَسْتَخْدِمونَها ،

وَهٰذِهِ ٱلنَّظَّارَةُ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ صاحِبَتُها سَيِّدَةً ، فَهِيَ أَنيقَةٌ جِدًّا ، ثُمَّ إِنَّ ٱلسَّيِّدَ سْمِيث قال قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ أَنْفاسَهُ : (إِنَّها هِيَ ...) وَهٰذا يَجْعَلُني أَعْتَقِدُ أَنَّ سَيِّدَةً كانَتْ هُناكَ . وَلا بُدَّ أَنْ تَكونَ ذاتَ مالٍ ، وَمُغْرَمَةً بِالأَشْياءِ ٱلثَّمينَةِ لِأَنَّ ٱلنَّظّارَةَ مِنَ ٱلذَّهَبِ ، وَٱلنَّظّاراتُ ٱلغالِيَةُ ٱلثَّمَنِ تُصْنَعُ عادَةً لِتُلائِمَ تَمامًا الشَّخْصَ الَّذي يَسْتَعْمِلُها . »

ٱلْتَفَتَ هُولمْز إِلَيَّ وَقالَ : « إِنَّ أَنْفَكَ غَليظٌ إِلى حَدٍّ كَبيرٍ ، وَمَعَ هٰذا فَأَنا واثِقٌ أَنَّ هٰذِهِ ٱلنَّظّارَةَ تَكْبُرُ أَنْفَكَ بِكَثيرٍ ؛ وَمَعَ أَنَّ وَجْهِيَ ضَيِّقٌ ، وَعَيْنَيَّ مُتَقارِبَتانِ – فَإِنَّهُ يَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أَنْظُرَ مِنْ خِلالِها . وَهٰكَذا تَرَيانِ كَيْفَ ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَعْرِفَ ما عَرَفْتُ عَنْ أَنْفِ ٱلسَّيِّدَةِ وَعَيْنَيْها . »

سَأَلْتُهُ : « وَلٰكِنْ ماذا عَمَّا ذَكَرْتَ مِنْ حَمْلَقَتِها ، وَعَنْ زِياراتِها لِصانِعِ ٱلنَّظّاراتِ ٱلطِّبِّيَّةِ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « إِنَّ ضِعافَ ٱلبَصَرِ دائِمًا يُحَمْلِقونَ عِنْدَما يَنْظُرونَ إِلى ٱلأَشْياءِ ، فَهُمْ لا يَسْتَطيعونَ ٱلرُّؤْيَةَ بِسُهولَةٍ ، وَلَقَدْ كانَ واضِحًا لي أَنَّ ٱلنَّظّارَةَ أُصْلِحَتْ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّ ٱلإِصْلاحَ تَمَّ في وَقْتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ . إِنَّ ٱلذَّهَبَ جَديدٌ جِدًّا وَأَشَدُّ صُفْرَةً في أَحَدِ ٱلمَكانَيْنِ ، بَيْنَما يَبْدو في ٱلمَكانِ ٱلآخَرِ قَديمًا إِلى حَدٍّ ما . »

قالَ هُوبْكِينْز : « إِنَّكَ دائِمًا شَديدُ ٱلذَّكاءِ يا سَيِّدُ هُولمْز . إِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَعْرِفُ ٱلآنَ عَنْ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْرِفُ ، مَعَ أَنَّكَ لَمْ تَرَ قَطُّ يوكسلي

أُولْد بْلِيس . فَهَلْ تَتَفَضَّلُ أَنْتَ وَٱلدُّكْتور واطْسُن بِالذَّهابِ مَعي إلى هُناكَ في ٱلغَدِ ؟ »

قُلْنا : « نَعَمْ. »

كانَ عَلَيْنا أَنْ نَأْخُذَ قِطارَ ٱلسَّاعةِ ٱلسادِسةِ مِنْ صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي ، وَ لِذٰلِكَ طَلَبَ هُولمْز مِنْ سْتانْلي هُوپْكِينْز أَنْ يَقْضِيَ ٱللَّيْلَةَ مَعَنا .

الفَصْلُ ٱلثّاني

كانَ ٱلطَّقْسُ في ٱليَوْمِ ٱلتّالي أَحْسَنَ ، وَ لٰكِنَّ ٱلبَرْدَ لَمْ يَزَلْ شَديدًا . أَخَذْنا ٱلقِطارَ إلى بَلْدةٍ صَغيرَةٍ قُرْبَ تُشاتام ، حَيْثُ تَناوَلْنا طَعامَ ٱلإفْطارِ ، ثُمَّ رَكِبْنا عَرَبةً إلى يُوكْسلي أُولْد بْلِيس . كانَ هُناكَ شُرْطِيٌّ في ٱنْتِظارِنا عِنْدَ بَوّابَةِ ٱلمَنْزِلِ ، فَسَأَلَهُ سْتانْلي هُوپْكِينْز عَمّا إذا كانَ شَيْءٌ حَدَثَ أَثْناءَ ٱللَّيْلِ ، فَأَجابَ بِالنَّفْيِ ، وَ أَضافَ أَنَّ ٱلشُّرْطةَ لَمْ تَهْتَدِ إلى جَديدٍ .

قالَ هُوپْكِينْز لِهُولمْز : « هٰذا هُوَ مَمَرُّ ٱلحَديقةِ يا سَيِّدُ هُولمْز ، وَ تَسْتَطيعُ أَنْ تَرى أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ أَيُّ آثارٍ عَلَيْهِ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « في أَيِّ جانِبَيِ ٱلمَمَرِّ وَجَدْتَ آثارًا عَلى ٱلعُشْبِ ؟ »

أَجابَ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ : « في هٰذا ٱلجانِبِ . » وَ أَشارَ إلى أَحَدِ ٱلجانِبَيْنِ

قالَ هُولمْز : « إنَّ ٱلعُشْبَ ضَيِّقٌ هُنا ، وَ مَعَ هٰذا أَسْتَطيعُ أَنْ أَرَى ما ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَسْلُكَهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلشّارِعِ إلى ٱلمَنْزِلِ ؟ »

قالَ سْتانْلي هُوپْكِينْز : « نَعَمْ ، أَنا مُتَأَكِّدٌ مِنْ هٰذا . »

قالَ هُولمْز : « إذًا فَإِنَّ ٱلسَّيِّدَةَ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ قَدْ عادَتْ مِنْ ٱلطَّريقِ نَفْسِهِ أَيْضًا . »

قالَ هُوپْكِينْز : « نَعَمْ . »

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ كانَ هٰذا مُنْتَهى ٱلذَّكاءِ مِنْها . لَقَدْ كانَ عَلَيْها أَنْ تَمْشِيَ بِمُنْتَهى ٱلحِرْصِ وَ ٱلحَذَرِ . أَنا واثِقٌ مِنْ هٰذا . وَ ٱلآنَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ كُلَّ ما أَرَدْتُ أَنْ أَراهُ في ٱلحَديقةِ . فَهَيّا بِنا إلى داخِلِ ٱلمَنْزِلِ . أَظُنُّ أَنَّ ٱلبابَ ٱلمُؤَدِّيَ إلى ٱلحَديقةِ مَفْتوحٌ دائِمًا ، وَ مِنْ ثَمَّ كانَ مِنَ ٱلسَّهْلِ عَلَيْها أَنْ تَدْخُلَ . »

إسْتَمَرَّ هُولمْز في حَديثِهِ : « أَنا لا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كانَ في نِيَّتِها أَنْ تَقْتُلَ أَحَدًا ، بِدَليلِ أَنَّها لَمْ تُحْضِرْ مَعَها سِكّينًا أَوْ مُسَدَّسًا ؛ وَ إنَّما لَجَأَتْ إلى ٱسْتِخْدامِ سِكّينِ ٱلبُروفيسُّور ٱلَّذي وَجَدْتُهُ عَلى ٱلمِنْضَدةِ . »

لَمّا دَخَلْنا ٱلمَنْزِلَ قالَ هُولمْز : « لَقَدْ مَرَّتْ في هٰذا ٱلدِّهْليزِ ، وَ لٰكِنَّها لَمْ تَتْرُكْ أَيَّ أَثَرٍ عَلى ٱلأَرْضِ . ثُمَّ دَخَلَتْ هٰذِهِ ٱلحُجْرَةَ . كَمْ مِنَ ٱلوَقْتِ قَضَتْ هُنا يا تُرى ؟ هَلْ تَعْرِفُ ؟ »

قالَ هُوپْكِينْز : « قَضَتْ هُنا بِضْعَ دَقائِقَ يا سَيِّدُ هُولمْز ، فَٱلطّاهِيَةُ تَقولُ

إنَّها كانَتْ تَقومُ بالتَّنْظيفِ هُنا قَبْلَ مَقْتَلِ السَّيِّد سْميث بِرُبْعِ ساعةٍ فَقَطْ . لَقَدْ نَسيتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِهٰذا بِالأَمْسِ . »

قالَ هُولمْز : « حَسَنٌ ، إذًا فَهِيَ لَمْ تَقْضِ هُنا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ دَقيقَةً ، وَ لَقَدِ اتَّجَهَتْ إلى هٰذا الصُّوانِ المُجاوِرِ لِلْمِنْضَدَةِ ، إذ إنَّهُ القِطْعَةُ الوَحيدَةُ المُقْفَلَةُ في هٰذِهِ الحُجْرَةِ . فَإذا كانَ في الحُجْرَةِ أَيُّ شَيْءٍ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ فَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ في هٰذا الصُّوانِ . »

اِنْحَنى هُولمْز يَتَأَمَّلُ بابَ الصُّوانِ ، ثُمَّ اسْتَوى واقِفًا ، وَ قالَ وَ هُوَ يُشيرُ إلى البابِ : « اُنْظُرْ . هُنا خَدْشٌ صَغيرٌ عَلى القُفْلِ النُّحاسِيِّ بِجِوارِ ثَقْبِ المِفْتاحِ ، لِماذا لَمْ تُخْبِرْني بِذٰلِكَ يا هُوپْكِينْز ؟ »

قالَ ضابِطُ المَباحِثِ : « لَمْ يَخْطُرْ بِبالي أَنَّ لِلْأَمْرِ أَهَمِّيَّةً ، فَهُناكَ دائِمًا مِثْلُ هٰذِهِ الخُدوشِ بِقُرْبِ ثُقوبِ المَفاتيحِ . »

قالَ هُولمْز : « أَعْرِفُ ذٰلِكَ ، وَ لٰكِنَّ هٰذا الخَدْشَ حَديثٌ جِدًّا . وَ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَدَثَ بِالأَمْسِ فَقَطْ . هَلِ السَّيِّدَةُ مارْكَر هُنا ؟ »

قالَ هُوپْكِينْز : « نَعَمْ ، ها هِيَ ذي . »

سَأَلَها هُولمْز : « هَلْ رَأَيْتِ هٰذا الخَدْشَ بِالأَمْسِ عِنْدَما نَظَّفْتِ الحُجْرَةَ ؟ »

قالَتْ : « لا ، لَمْ أَرَهُ . »

قالَ هُولمْز : « أَنا واثِقٌ مِنْ أَنَّكِ لَمْ تَرَيْهِ ، وَ أَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذي قَتَلَ

السَّيِّد سْميث هُوَ الَّذي أَحْدَثَهُ . مَعَ مَنْ كانَ مِفْتاحُ هٰذا القُفْلِ ؟ »

أَجابَتِ السَّيِّدَةُ مارْكَر : « مَعَ البروفيسُّور ، وَ هُوَ يَحْتَفِظُ بِهِ مَعَهُ في حُجْرَتِهِ . »

كانَ السُّؤالُ التّالي لِهُولمْز هُوَ : « هَلْ هُوَ مِفْتاحٌ عادِيٌّ ؟ »

قالَتِ الخادِمَةُ : « لا ، إنَّهُ مِفْتاحٌ مَتينٌ . إنَّهُ لَيْسَ مِفْتاحًا عادِيًّا . »

هُنا أَذِنَ هُولمْز لِلسَّيِّدَةِ مارْكَر بِالإنْصِرافِ ، وَ بَعْدَ مُغادَرَتِها الحُجْرَةَ قالَ لَنا : « الآنَ نَعْرِفُ ما حَدَثَ ، فالسَّيِّدَةُ جاءَتْ إلى هٰذِهِ الحُجْرَةِ ثُمَّ اتَّجَهَتْ إلى الصُّوانِ وَ حاوَلَتْ فَتْحَهُ ، وَ قَدْ حَضَرَ سْميث بَيْنَما كانَتْ في مُحاوَلَتِها ؛ فَسارَعَتْ تُحاوِلُ إخْراجَ المِفْتاحِ مِنَ القُفْلِ . وَ نَظَرًا لِأَنَّها كانَتْ مُتَعَجِّلَةً ؛ فَقَدْ أَحْدَثَتْ هٰذا الخَدْشَ . وَ حينَ اتَّجَهَ سْميث إلَيْها الْتَقَطَتِ السِّكِّينَ . وَ لَمَّا حاوَلَ أَنْ يُمْسِكَ بِها ؛ طَعَنَتْهُ بِهِ فَسَقَطَ عَلى الأَرْضِ ، أَمَّا هِيَ فَقَدْ جَرَتْ خارِجَ الحُجْرَةِ بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ نَظّارَتَها . وَ كانَ أَمامَها دِهْليزانِ لِلْخُروجِ : أَحَدُهُما يُؤَدّي إلى البابِ الخَلْفِيِّ ، وَ الآخَرُ إلى بابِ البروفيسُّور ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

قالَ هُوپْكِينْز : « بَلى ، وَ لَيْسَ هُناكَ طَريقٌ إلى خارِجِ المَنْزِلِ عَبْرَ الدِّهْليزِ الآخَرِ . »

قالَ هُولمْز : « هَيّا لِنَرى البروفيسُّور . »

ذَهَبْنا عَبْرَ ٱلدِّهْليزِ إلى حُجْرةِ ٱلبروفيسُّور ، وَ نَظَرَ هُولمْز إلى حُذْرانِ ٱلدِّهْليز و أُرْصيَّتِهِ وَ سَأَل : « هَلْ تُلاحِظُ أيَّ شَيْءٍ غَريبٍ في هٰذا ٱلدِّهْليز أيُّها ٱلضَّابِطُ ؟ »

قالَ هُولمْز : « هٰذا ما أعْنيهِ . فَالحُذْرانُ وَ ٱلأُرْصيَّةُ في هٰذا ٱلدِّهْليز تُماثِلُ تَمامًا نَظائِرَها في ٱلدِّهْليزِ ٱلآخَرِ . »

سَأَلَ ضابِطُ ٱلمَباحِثِ : « وَ هَلْ لِهٰذا أهَمِّيَّةٌ ؟ »

أجابَ هُولمْز : « رُبَّما كانَ ٱلأمْرُ كَذٰلِكَ ، وَ لٰكِنّي لَسْتُ مُتَأكِّدًا مِنْهُ بَعْدُ . »

الفَصْلُ ٱلثّالِثُ

دَخَلْنا حُجْرةَ ٱلبرُوفيسُّور ، وَ كانَتْ واسِعةً ، تُغَطّي جُدرانَها ٱلكُتُبُ . وَ كانَتِ ٱلكُتُبُ مِنَ ٱلكَثْرةِ بِحَيْثُ كانَ بَعْضُها مُكَدَّسًا فَوْقَ ٱلأرْضِ أمامَ ٱلرُّفوفِ ، وَ كانَ ٱلبروفيسُّور راقِدًا عَلى سَريرِهِ ٱلّذي يَتَوَسَّطُ ٱلحُجْرةَ كانَ شَعْرُهُ أبْيَضَ ، وَ لَهُ لِحْيةٌ كَبيرةٌ بَيْضاءُ . وَ لٰكِنَّها كانَتْ صَفْراءَ قَذِرةً في ٱلجُزْءِ ٱلقَريبِ مِنْ فَمِهِ ، و كانَ يُدَخِّنُ سيجارةً ، وَ قَدِ ٱنْتَشَرَتْ رائِحةُ ٱلتَّبْغِ في ٱلحُجْرةِ . وَ كانَتْ هُناكَ عُلَبُ سَجائِرَ كَثيرةٌ عَلى ٱلمِنْضَدةِ ، وَ عِنْدَما نَظَرْتُ إلى يَدِهِ لاحَظْتُ أنَّها صَفْراءُ مِنْ أثَرِ ٱلتَّبْغِ .. تَمامًا مِثْلُ لِحْيَتِهِ .

حَيّا ٱلبرُوفيسُّور هُولمْز ثُمَّ سَأَلَهُ : « هَلْ تُدَخِّنُ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ لَدَيَّ

نَوْعٌ فاخِرةٌ مِنَ ٱلسَّجائِرِ . إنَّني أُدَخِّنُ عَدَدًا كَبيرًا مِنْها ، فَٱلتَّدْخينُ مِنَ ٱلمُتَع ٱلقَليلةِ ٱلّتي تَحْلُبُ لِيَ ٱلسَّعادةَ . إنَّني أجِدُ صُعوبةً في ٱلمَشْيِ ، وَ كَذٰلِكَ لا أسْتَطيعُ ٱلخُروجَ ، وَ حَسْبي أنَّني أجِدُ هُنا عَمَلي وَ سَجائِري . وَ ٱلآنَ ، وَ بَعْدَ مَوْتِ سْمِيث ، لَنْ أكونَ قادِرًا عَلى ٱلعَمَلِ . لَقَدْ كانَ شابًّا طَيِّبًا ، وَ كانَ يُعاوِنُني كَثيرًا . إنَّني آسِفٌ لِما أصابَهُ أشَدَّ ٱلأسَفِ . »

تَناوَلَ هُولمْز سيجارةً وَ أخَذَ يَتَمَشّى في ٱلحُجْرةِ وَ هُوَ يُدَخِّنُ ، وَ ٱسْتَمَرَّ ٱلبروفيسُّور في حَديثِهِ فَقالَ : « إنَّني سَعيدٌ بِمَجيئِكَ يا سَيِّدُ هُولمْز ، وَ أنا

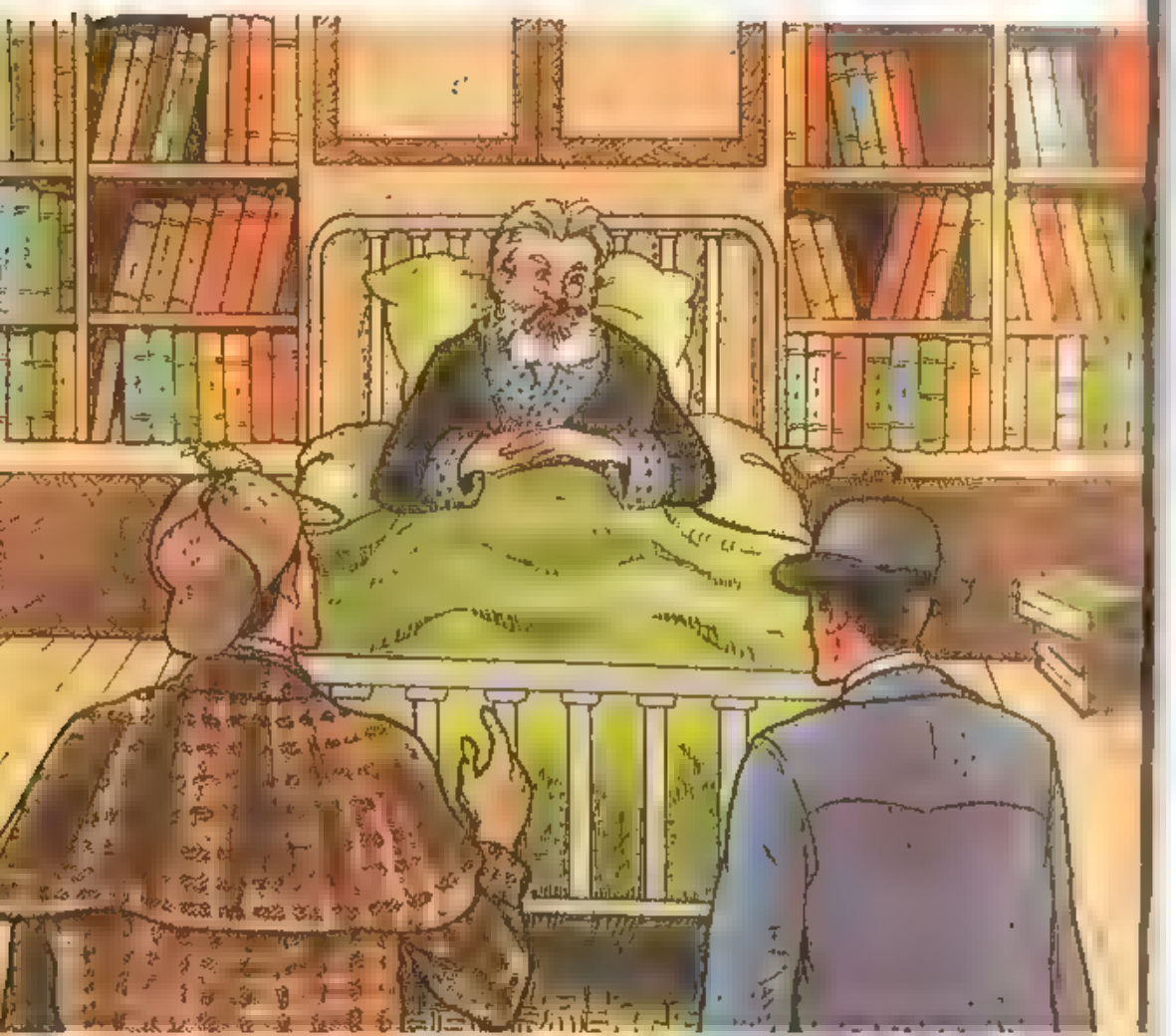

واثقٌ مِنْ أنَّكَ سَوْفَ تُساعِدُنا . »

لاحَظْتُ أنَّ هُولمْز يُدَخِّنُ بِسُرْعةٍ تَتجاوَزُ عادَتَهُ في التَّدْخِينِ . فَقَدْ دَخَّنَ أرْبَعَ سَجائِرَ قَبْلَ أنْ يَكُفَّ البرُوفيسُّور عَنِ الحَدِيثِ ، وَ قالَ لِلبرُوفيسُّور : « أنا أعْرِفُ أنَّكَ كُنْتَ في فِراشِكَ حينَما قُتِلَ سْمِيث ، لِذلِكَ فأنْتَ لا تَعْرِفُ أيَّ شَيْءٍ عَنِ الحادِثِ ، وَ لَكِنْ هَلْ تَسْتَطيعُ أنْ تُخْبِرَني ماذا كانَتْ تَعْني آخِرُ كَلِماتٍ تَفَوَّهَ بِها ، وَ هي البرُوفيسُّور ... إنَّها هِيَ .. ؟ »

قالَ البروفيسُّور : « لا ،لا أسْتَطيعُ . وَ لَكِنْ لا تَنْسَ أنَّ سُوران تارلْتُون مُجَرَّدُ فَتاةٍ صَغيرةٍ . وَ لَعَلَّها لَمْ تَسْتَمِعْ جَيِّدًا إلى ما نَطَقَ بِهِ . إنَّني مُتَأكِّدٌ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ بِوُضوحٍ . لا تَنْسَ أنَّهُ كانَ يَحْتَضِرُ . »

كانَ السُّؤالُ التَّالي لِهُولمْز هُوَ : « هَلْ تَسْتَطيعُ أنْ تُفَكِّرَ في أيِّ سَبَبٍ لِقَتْلِهِ ؟ »

أجابَهُ البرُوفيسُّور : « إنَّ الَّذي سَأقولُهُ إنَّما أقولُهُ لَكَ أنْتَ ، وَ لَيْسَ لأيِّ أحَدٍ غَيْرِكَ ، ذلِكَ لأنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يَحْسُنُ قَوْلُهُ . أنا لا أُريدُ أنْ يُسيءَ النَّاسُ الظَّنَّ بالسَّيِّد سْمِيث ، وَ لَكِنِّي أعْتَقِدُ أنَّهُ انْتَحَرَ . وَ أظُنُّ أنَّهُ كانَ عاشِقًا : لَقَدْ كانَ يَحْتَفِظُ بِنَظّارةِ إحْدى السَّيِّداتِ ، وَ لَعَلَّهُ كانَ مَشْغوفًا بِحُبِّها ، وَ لَكِنَّها لَمْ تُبادِلْهُ الحُبَّ فَانْتَحَرَ . إنَّ كَثيرًا مِنَ النَّاسِ يَنْتَحِرونَ لِهٰذا السَّبَبِ . »

بَدَتْ عَلى هُولمْز الدَّهْشَةُ حينَما سَمِعَ هٰذِهِ الفِكْرةَ ، فَأخَذَ يُفَكِّرُ وَ يَتَمَشّى في الحُجْرةِ جَيْئةً وَ ذَهابًا وَ هُوَ صامِتٌ . وَ أخيرًا خاطَبَ

البرُوفيسُّور قائِلًا : « ماذا في الصُّوانِ المَوْجُودِ في الحُجْرةِ الَّتي ماتَ فيها السِّيد سْمِيث ؟ »

أجابَ البرُوفيسُّور : « لا شَيْءَ مِمَّا يُعْري لِصًّا يا سَيِّدُ هُولمْز . مُجَرَّدُ أوْراقٍ وَ رَسائِلَ مِنْ زَوْجَتي المِسْكينةِ . إنَّها الآنَ في عِدادِ الأمْواتِ .. تَسْتَطيعُ أنْ تُلْقِيَ نَظْرةً عَلى ما في الصُّوانِ إذا شِئْتَ . هاكَ المِفْتاحَ . »

تَناوَلَ هُولمْز المِفْتاحَ وَ أمْعَنَ النَّظَرَ فيهِ بُرْهةً ثُمَّ قالَ : « لا ، لَسْتُ أعْتَقِدُ أنّي في حاجةٍ إلى إلْقاءِ نَظْرةٍ عَلى ما في الصُّوانِ ، وَ لَعَلَّكَ عَلى صَوابٍ فيما قُلْتَ عَنِ السِّيد سْمِيث يا بُرُوفيسُّور كُوارم . وَ لَسَوْفَ أُفَكِّرُ في وِجْهةِ نَظَرِكَ ، وَ رُبَّما كَوَّنْتُ رَأْيًا في القَضِيَّةِ أعْرِضُهُ عَلَيْكَ بَعْدَ أنْ أتَناوَلَ بَعْضَ الطَّعامِ . سَأراكَ ثانِيةً ، وَ لَكِنِّي لَنْ أحْضُرَ قَبْلَ السّاعةِ الثّانِيَةِ . فَأنا واثِقٌ أنَّكَ في حاجةٍ إلى شَيْءٍ مِنَ الرّاحةِ . »

بَدا البرُوفيسُّور مَسْرورًا حينَما قالَ هُولمْز ذٰلِكَ ، فَعَقَّبَ قائِلًا : « نَعَمْ إنَّني مُرْهَقٌ ، فَأرْجو ألّا تَحْضُرَ إلَيَّ حَتّى السّاعةِ الثّانِيةِ ، فَإنَّني أُريدُ أنْ أخْلُوَ إلى نَفْسي . »

أخَذْنا نَتَمَشّى – أنا وَ هُولمْز – في الحَديقةِ . وَ لَمْ يَكُنْ يَبْدو سَعيدًا وَ لا مُهْتَمًّا بِالقَضِيَّةِ ، فَسَأَلْتُهُ : « أتَظُنُّ أنَّكَ تَسْتَطيعُ أنْ تُكَوِّنَ رَأْيًا في القَضِيَّةِ الآنَ يا هُولمْز ؟ »

أجابَ : « لَسْتُ مُتَأكِّدًا ، وَ لَكِنْ هٰذِهِ السَّحائِرُ الَّتي دَخَّنْتُها رُبَّما

تُساعِدُنا . »

قُلْتُ لَهُ : « أَحَقًّا ؟ كَيْفَ ؟ »

قالَ : « سَوْفَ تَرى فيما بَعْدُ ، أَمّا الآنَ فَها هِيَ دي السَّيِّدةُ مارْكَـــر . سَوْفَ أَتَحَدَّثُ إِلَيْها لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائِقَ . »

أَحَدَ يَتَحَدَّثُ مَعَ الطّاهِيةِ ، فَقالَ لها : « أَظُنُّ أَنَّ البُروفيسُور لا يُقْبِلُ عَلى الطَّعامِ كَثيرًا ، فَقَدْ جَرَتِ العادةُ أَنَّ أُولئِكَ الَّذينَ يُدَخِّنونَ كَثيرًا ، يَأْكُلونَ قَليلًا . وَاليَوْمَ رَأَيْتُهُ يُدَخِّنُ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ السَّجائِرِ ، وَلِذلِكَ فَهُوَ لَمْ يَرْغَبْ في تَناوُلِ أَيِّ إِفْطارٍ . »

رَدَّتِ الطّاهِيةُ : « أَنْتَ مُحِقٌّ يا سَيِّدي . لَقَدْ تَناوَلَ إِفْطارًا كَبيرًا ، ثُمَّ طَلَبَ مِنّي أَنْ أُعِدَّ لَهُ وَجْبَةً أُخْرى . إِنَّ هٰذا يُحَيِّرُني ، فَأَنا حينَ عَلِمْتُ أَنَّ السَّيِّدَ سْمِيث المِسْكينَ قَدْ ماتَ فَقَدْتُ شَهِيَّتي لِلأَكْلِ . إِنَّ البُروفيسُور رَجُلٌ غَريبٌ . »

بَعْدَ هٰذا لَمْ يَتَحَدَّثْ هُولمْز كَثيرًا ، وَبَدا عَلَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ ما يَسْتَحِقُّ اهْتِمامَهُ ، وَكانَ الشَّخْصُ الوَحيدُ الَّذي اسْتَمَعَ إِلَيْهِ هُولمْز هُوَ سُوزان الخادِمَةَ ، وَقَدْ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ السَّيِّدَ سْمِيث كانَ قَدْ خَرَجَ إِلى القَرْيَةِ في الصَّباحِ قَبْلَ أَنْ يَلْقى مَصْرَعَهُ بِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ .

في السّاعَةِ الثّانِيَةِ قالَ هُولمْز : « أَيُّها السّادَةُ ، لَقَدْ حانَ الوَقْتُ لِكَيْ نَذْهَبَ وَنَرى البُروفيسُور ثانِيَةً . »

الفَصْـــلُ الرّابِـــعُ

كانَ الرَّجُلُ المُسِنُّ قَدِ انْتَهى لِتَوِّهِ مِنْ طَعامِهِ حينَما دَخَلْنا ، وَكانَتِ

الصُّحونُ نظيفةً ، فَقَدْ أتى عَلى كُلِّ ما كانَ فيها مِنْ طَعامٍ ، وَكانَ يَجْلِسُ في آنْتظارِنا على كُرْسيٍّ ، وَقَدْ فَرَغَ مِنْ تدخين سيجارةٍ وَبَدأ يُدَخِّنُ أُخرى .

قالَ : « أَخْبِرْني يا سَيِّدُ هُولمْز ، هَلْ وَجَدْتَ حَلًّا لِلْقَضيَّةِ ؟ »

أَراحَ عُلْبَةَ آلسَّجائِرِ تجاهَ هُولمْز آلذي مَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَ واحدةً . وَلٰكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ ذٰلِكَ رفعَ آلعُلْبَةَ عَنِ آلمِنْضَدَةِ لِتَسْقُطَ جَميعُ آلسَّجائِرِ على آلأَرْضِ ، وَسارَعْنا أَنا وَهُولمْز وَسْتانْي هُويكينْز ، فَٱنْحَنَيْنا إلى آلأَرْضِ لِنَلْتَقِطَ آلسَّجائِرَ . وَعِنْدَما آنْتَهَيْنا مِنْ جَمْعِها نَهَضَ هُولمْز وَقالَ لِلْبُروفيسُور كُورام :

« نَعَمْ ، لَقَدْ وَجَدْتُ آلحَلَّ . »

صاحَ آلبُروفيسُور كُورام : « أَحَقًّا ؟ أَيْنَ وَجَدْتَهُ ؟ في آلحَديقَةِ ؟ »

كانَ آلغَضَبُ بادِيًا عَلى وَجْهِهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إلى هُولمْز ، فَقالَ صَديقي : « لا ، إنَّ آلحَلَّ هُنا في حُجْرَتِكَ . »

قالَ البُروفيسُور : « مَتى وَجَدْتَ هٰذا آلحَلَّ ؟ »

قالَ هُولمْز : « مُنْذُ دَقيقَتَيْنِ . »

حينَئِذٍ قالَ آلبُروفيسُور : « أَنا واثِقٌ أَنَّكَ لَسْتَ جادًّا يا سَيِّدُ هُولمْز . إنَّها قَضيَّةٌ لَها أَهَمِّيَّتُها . لَقَدْ ماتَ سْميث ، فَبِاللّٰهِ عَلَيْكَ لا تَكُنْ هازِلًا . »

قالَ هُولمْز : « إنِّي لا أَهْزِلُ . إنَّني واثِقٌ مِمَّا أَقولُ . صَحيحٌ أَنِّي لا أَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدُ . وَلٰكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ فَعَلْتَ أَمْرًا سَيِّئًا ، وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِما أَعْتَقِدُهُ :

« بِالأَمْسِ جاءَتْ سَيِّدَةٌ إلى مَنْزِلِكَ ، وَٱتَّجَهَتْ إلى آلحُجْرَةِ آلَّتي بِها آلصُّوانُ . وَكانَتْ قَدْ أَحْضَرَتْ مَعَها مِفْتاحَها آلخاصَّ ، وَأَرادَتْ أَنْ تَفْتَحَ آلصُّوانَ . وَلٰكِنَّ آلمِفْتاحَ كانَ جَديدًا حادَّ آلسِّنِّ ، فَتَرَكَ أَثَرًا عَلى آلقُفْلِ آلنُّحاسِيِّ لِبابِ آلصُّوانِ ، وَحينَما أَعْطَيْتَني مِفْتاحَكَ هٰذا آلصَّباحَ لاحَظْتُ أَنَّ سِنَّهُ لَيْسَتْ حادَّةً ، وَمَعْنى هٰذا أَنَّ آلسَّيِّدَةَ لَمْ تَسْتَخْدِمْ مِفْتاحَكَ ، وَلِذٰلِكَ أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ بِمَقْدَمِها إلى آلمَنْزِلِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ قُدومَها كانَ بِقَصْدِ سَرِقَةِ شَيْءٍ ما مِنَ آلصُّوانِ . »

قالَ كُورام : « كُلُّ هٰذا شائِقٌ جِدًّا . وَلٰكِنْ لَعَلَّكَ تَسْتَطيعُ أَنْ تُخْبِرَنا بِالمَزيدِ . تُرى ما آلَّذي حَدَثَ لِهٰذِهِ آلسَّيِّدَةِ بَعْدَ ذٰلِكَ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « سَأُحاوِلُ أَنْ أُخْبِرَكَ : لَقَدْ جاءَ سِكْرِتيرُكَ إلى آلحُجْرَةِ وَفاجَأَها هُناكَ ؛ فَقَتَلَتْهُ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ ذٰلِكَ كانَ غَلْطَةً ، فَلَوْ أَنَّها كانَتْ قَدْ بَيَّتَتِ آلنِّيَّةَ عَلى قَتْلِ أَحَدٍ لَكانَتْ قَدْ أَحْضَرَتْ مَعَها سِكِّينًا . وَلَقَدْ فَقَدَتِ آلسَّيِّدَةُ أَعْصابَها في آلعِراكِ آلَّذي حَدَثَ ، وَلٰكِنَّها كانَتْ مُضْطَرَّةً إلى آلهُروبِ عَلى عَجَلٍ . وَنَظَرًا لِضَعْفِ بَصَرِها فَقَدِ آرْتَكَبَتْ غَلْطَةً ثانِيَةً إذْ سَلَكَتْ حينَ أَرادَتِ آلخُروجَ طَريقَ آلدِّهْليزِ غَيْرَ آلمُناسِبِ . وَكانَ مِنَ آليَسيرِ أَنْ تَرْتَكِبَ هٰذِهِ آلغَلْطَةَ بِسَبَبِ أَنَّ آلدِّهْليزَيْنِ يَتَشابَهانِ في لَوْنِ آلجُدْرانِ وَآلأَرْضِيَّةِ . وَلِذٰلِكَ لَمْ تَتَّجِهْ إلى آلبابِ آلخَلْفِيِّ كَما كانَتْ تَأْمُلُ ، وَإِنَّما آتَّجَهَتْ إلى حُجْرَتِكَ يا بُروفيسُور . »

صاحَ آلبُروفيسُور وَقَدِ آمْتُقِعَ وَجْهُهُ وَبَدا عَلَيْهِ آلفَزَعُ : « هَلْ تَعْني أَنَّها

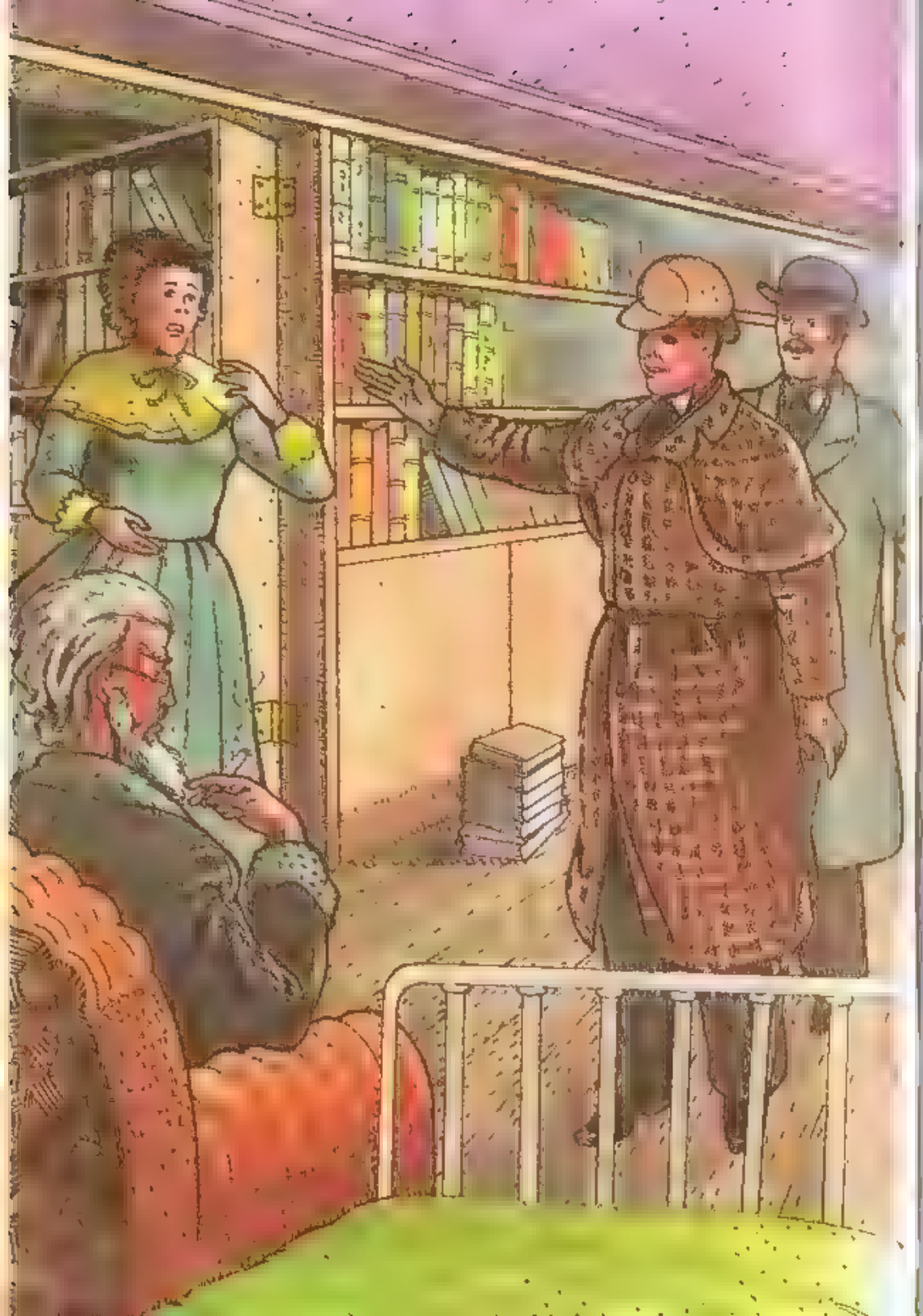

جاءَتْ إلى حُجْرَتي وَلَمْ أَرَها ؟»

قالَ هُولمْز : «لا ، أنا أَعْني أَنَّها دَخَلَتْ هُنا وَأَنَّكَ رَأَيْتَها فِعْلًا .. أَعْتَقِدُ أَنَّكَ كُنْتَ تَعْرِفُ مَنْ هِيَ ، وَأَنَّكَ تَحَدَّثْتَ إِلَيْها ، وَعاوَنْتَها .. »

أَطْلَقَ آلبُروفِسُّور ضِحْكَةً عالِيَةً وَقالَ : «إِنَّكَ مَجْنونٌ يا سَيِّدُ هُولمْز ! مَجْنونٌ ! وَأَيْنَ هٰذِهِ آلسَّيِّدَةُ آلآنَ ؟»

أَشارَ هُولمْز إلى آلجِدارِ آلَّذي كانَتْ تَحْجُبُهُ رُفوفُ آلكُتُب وَقالَ : «إِنَّها هُنا !»

إِشْرَأَبَّتْ أَعْناقُنا جَميعًا إلى آلرُّفوفِ آلَّتي أَشارَ إِلَيْها ، فَلَمْ تَقَعْ عُيونُنا إِلَّا عَلى كُتُبٍ . وَفَجْأَةً رَأَيْنا خِزانَةَ آلكُتُبِ وَقَدْ بَدَأَتْ تَتَحَرَّكُ ، وَآنْفَرَجَ آلجِدارُ كَأَنَّهُ بابٌ وَخَرَجَتْ مِنْهُ سَيِّدَةٌ إلى آلحُجْرَةِ ؛ وَإِذا بِالبُروفيسُّور يَصيحُ صَيْحَةً عالِيَةً . كانَتِ آلسَّيِّدَةُ مُغَطّاةً بِالتُّرابِ وَآلغُبارِ ، وَقالَتْ في صَوْتٍ غَريبٍ : «أَنا هُنا !»

الفَصْلُ آلخامِسُ

اتَّجَهَ هُولمْز إلى آلسَّيِّدَةِ قائِلًا : «يَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ مَعي .»

رَدَّتْ قائِلَةً : «إِنِّي لَنْ أُحاوِلَ آلهَرَبَ . أَعْرِفُ أَنَّكَ تَعْرِفُ أَنِّي قَتَلْتُ سْمِيث . لَيْسَ لَدَيَّ فُسْحَةٌ مِنَ آلوَقْتِ ، وَلٰكِنِّي أُريدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِحَقيقَةِ هٰذا آلرَّجُلِ .» ثُمَّ أَشارَتْ إلى آلبُروفِيسُّور قائِلَةً :

«إنَّهُ لَيْسَ إنْجِليزِيًّا . وَلَنْ أَذْكُرَ لَكَ آسْمَهُ ، فَذٰلِكَ لَيْسَ ضَرورِيًّا .»

بَدا عَلى وَجْهِ آلبرُوفيسُّور شَيْءٌ مِنَ آلرِّضا حينَما قالَتْ ذٰلِكَ ، و قالَ لَها :
«شُكْرًا لَكِ يا آنَّا ... شُكْرًا لَكِ .»

نَظَرَتِ آلمَرْأَةُ إلَيْهِ في غَضَبٍ وَ مَضَتْ تَقولُ : «لِماذا تُريدُ أَنْ تَعيشَ ؟ إنَّ حَياتَكَ لاشَيْءَ ؛ فَأَنْتَ لَسْتَ إنْسانًا . أَيُّها آلسَّادةُ إنَّني زَوْجةُ هٰذا آلرَّجُلِ ، وَ كُنَّا نَعيشُ في إحْدى آلمُدُنِ بِبلادِنا .

«كُنَّا نُناضِلُ لِنَجْعَلَ مِنْ بَلَدِنا مَكانًا أَفْضَلَ . وَكانَ لَنا أَصْدِقاءُ ، وَ أَرادَتِ آلشُّرْطةُ أَنْ تَعْتَقِلَنا وَ تُزَجَّ بِنا في غَياهِبِ آلسُّجونِ أَوْ تَقْتُلَنا ، فَقَرَّرْنا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدَ رِجالِ آلشُّرْطةِ لِكَيْ نُظْهِرَ أَنَّنا أَقْوِياءُ . وَ حاوَلَتِ آلشُّرْطةُ أَنْ تَهْتَدِيَ إلَيْنا ، فَلَمَّا عَجَزَتْ أَعْلَنَتْ عَنْ مُكافَأَةٍ مالِيَّةٍ سَخِيَّةٍ تُقَدَّمُها لِمَنْ يُرْشِدُ إلى آلَّذي قَتَلَ رَجُلَ آلشُّرْطةِ .

«كانَ زَوْجي هُوَ آلَّذي أَرْشَدَ رِجالَ آلشُّرْطةِ إلى آسْمِ آلقاتِلِ ، وَ حَصَلَ عَلى آلمُكافَأَةِ . وَ قَدْ أَدَّتْ هٰذِهِ آلوِشايةُ إلى وُقوعِ أَكْثَرِنا في قَبْضةِ رِجالِ آلشُّرْطةِ ، فَقُتِلَ بَعْضُنا ، وَ زُجَّ بِبَعْضِنا في آلسُّجونِ ، وَ كُنْتُ مَحْظوظةً .. إذْ حُكِمَ عَلَيَّ بِالسَّجْنِ عَشْرَةَ أَعْوامٍ . وَ كانَ مِنْ بَيْنِنا شابٌّ يُدْعى أَلْيكْسيس ، وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَأْيِهِ أَنْ نَقْتُلَ آلشُّرْطِيَّ . حاوَلَ جَهْدَهُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَتْلِهِ ، وَ كَتَبَ إلَيَّ رَسائِلَ يُناشِدُني فيها أَنْ أُقْنِعَ أَصْدِقاءَنا بِتَغْييرِ آلخُطَّةِ . وَ لٰكِنَّ زَوْجي كانَ يَتَلَقَّى هٰذِهِ آلرَّسائِلَ وَ يُخْفيها عَنِّي ، فَقَدْ أَرادَ لِأَلْيكْسيس أَنْ يَموتَ . وَ كانَ أَلْيكْسيس مَحْظوظًا فَلَمْ يَقْتُلوهُ وَ إنَّما حَكَموا عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ

مُدَّةً طَويلةً جِدًّا ، وَلا يَزالُ في آلسِّجْنِ حَتَّى آلْيَوْمِ . وَ سَوْفَ يَظَلُّ فيهِ عِشْرينَ عامًا عَلى آلأَقَلِّ .»

نَظَرَتْ إلى آلبرُوفيسُّور في غَضَبٍ شَديدٍ وَ قالَتْ : «نَعَمْ إنَّهُ في آلسِّجْنِ ، وَ أَنْتَ هُنا طَليقٌ أَيُّها آلحَقيرُ .»

كانَ وَجْهُ آلسَّيِّدةِ مُمْتَقِعًا ، وَ بَدَتْ واهِيةً مَريضةً . قالَتْ : «لا بُدَّ أَنْ أُنْهِيَ كَلامي بِسُرْعةٍ . لَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ آلسِّجْنِ في آلعامِ آلماضي ، وَ أَرَدْتُ آلحُصولَ عَلى آلرَّسائِلِ آلَّتي كانَ أَلْيكْسيس قَدْ بَعَثَ بِها إلَيَّ . وَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إذا آطَّلَعَتِ آلشُّرْطةُ عَلَيْها ، فَسَوْفَ تَعْرِفُ أَنَّ أَلْيكْسيس حاوَلَ أَنْ يَمْنَعَنا مِنْ قَتْلِ رَجُلِ آلشُّرْطةِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ يُطْلِقونَ سَراحَهُ .

«لَقَدْ جِئْتُ إلى آنْجِلْترا لِلبَحْثِ عَنْ زَوْجي ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَيْنَ يُقيمُ ، وَ قَضَيْتُ وَقْتًا طَويلًا حَتَّى آسْتَطَعْتُ أَنْ أَهْتَدِيَ إلى يوكْسلي أُولْد بْلِيس . وَ حينَ آهْتَدَيْتُ إلَيْهِ أَرْسَلْتُ رَجُلًا إلى هُنا . وَهُوَ آلسِّكْرِتيرُ آلأَوَّلُ آلَّذي عَمِلَ هُنا قَبْلَ سْمِيث ، وَ قَدِ آكْتَشَفَ آلرَّجُلُ آلمَكانَ آلَّذي يَحْتَفِظُ فيهِ زَوْجي بِالرَّسائِلِ ، وَ صَنَعَ مِفْتاحًا جَديدًا وَ جاءَ بِهِ إلَيَّ ، وَ لٰكِنَّهُ تَخَلّى عَنْ مُساعَدَتي بَعْدَ ذٰلِكَ ، إذِ آعْتَقَدَ أَنَّني أُريدُ أَنْ أَقْتُلَ زَوْجي ، وَ لِذٰلِكَ كانَ عَلَيَّ أَنْ أَحْضُرَ بِنَفْسي . وَ في طَريقي إلى آلمَنْزِلِ آلْتَقَيْتُ آلسَّيِّدَ سْمِيث ، وَ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّهُ يَعْمَلُ مَعَ زَوْجي ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَكانِ إقامةِ آلبرُوفيسُّور .»

قالَ هُولْمز : «نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ عادَ إلى هُنا وَ أَخْبَرَ آلبرُوفيسُّور أَنَّهُ قاتَلَكِ ، وَ ذٰلِكَ هُوَ آلسَّبَبُ في أَنَّهُ قالَ قَبْلَ أَنْ يَموتَ : «آلبرُوفيسُّور .. إنَّها هِيَ ..»

لَقَدْ كانَ يَعْنيكِ أَنْتِ آلسَّيِّدةَ آلَّتي كانَ قَدْ تَحَدَّثَ إِلَيْها في ذٰلِكَ آلصَّباحِ . »

قالَتِ آلسَّيِّدةُ ، وَ قَدْ بَدا وَجْهُها أَكْثَرَ شُحوبًا وَ آمْتِقاعًا مِنْ دي قَبْلُ : « لا بُدَّ أَنْ تَدَعَني أُتِمُّ حَديثي . إِنَّني لَمْ أَكُنْ أُريدُ أَنْ أَقْتُلَ سْمِيث ، وَ إِنَّما ضَرَبْتُهُ بِالسِّكّينِ لِأَنَّهُ كانَ آلشَّيْءَ آلوَحيدَ فَوْقَ آلمِنْصَدةِ .. كانَ أَوَّلَ شَيْءٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْناي . وَ بَعْدَ أَنْ طَعَنْتُهُ جَرَيْتُ إِلى خارِجِ آلحُجْرةِ ، وَ لٰكِنَّني كُنْتُ قَدْ فَقَدْتُ بَصَارَتي فَآرْتَكَبْتُ غَلْطةً ، إِذْ لَمْ أَكُنْ قادِرةً عَلى آلرُّؤْيةِ بوضوحٍ . وَ هٰكَذا لَمْ أَسْلُكِ آلدِّهْليزَ آلمُناسِبَ ، وَ وَجَدْتُ نَفْسي أَدْخُلُ هٰذِهِ آلحُجْرةَ .

« وَ حينَ رَآني رَوْحي أُصابَهُ آلذُّعْرُ وَ آلغَضَبُ ، وَ هَدَّدَ بِأَنَّهُ سَوْفَ يُسَلِّمُني إِلى آلشُّرْطةِ ، وَ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطيعَ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ . وَ لَوْ فَعَلَ لَٱسْتَطاعَ آلآخَرونَ أَنْ يَهْتَدُوا إِلى مَكانِهِ ، وَ لَقَتَلُوهُ .

« كُنْتُ أُريدُ أَنْ أَهْرُبَ لِكَيْ أُنْقِذَ آلْيكْسِس . أَمّا رَوْحي فَكانَ يُريدُني أَنْ أَهْرُبَ بِسَبَبِ خَوْفِهِ مِنْ أَصْدِقائي ؛ وَ لِهٰذا قَرَّرَ أَنْ يُبْقِيَني في هٰذِهِ آلحُجْرةِ مُسْتَخْفِيةً حَتّى يَذْهَبَ رِجالُ آلشُّرْطةِ . وَ هُوَ وَحْدَهُ آلَّذي يَعْلَمُ أَنَّ وَراءَ رُفوفِ آلكُتُبِ مَكانًا سِرِّيًّا يُمْكِنُ أَنْ أَخْتَبِئَ فيهِ ، وَ قَدْ بَقِيتُ فيهِ ساعاتٍ طَويلةً ، وَ كانَ آلبُروفيسُور يَطْلُبُ كَمِّيّاتٍ مِنَ آلطَّعامِ كَبيرةً حَتّى يُوفِّرَ لي بَعْضًا مِنْهُ . وَ قالَ إِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أُغادِرَ آلمَنْزِلَ بِمُجَرَّدِ ذَهابِ آلشُّرْطةِ . وَ وَعَدَ بِأَنَّهُ لَنْ يَبُوحَ بِشَيْءٍ عَنِ آلحادِثِ . »

قَدَّمَتِ آلسَّيِّدةُ لِهُولمْز بَعْضَ آلأَوْراقِ وَ قالَتْ : « أَرْجو أَنْ تَأْخُذَ هٰذِهِ إِلى

آلعُنْوانِ آلمُبَيَّنِ عَلَيْها ، فَإِذا فَعَلْتَ ذٰلِكَ فَإِنَّهُمْ سَوْفَ يُطْلِقونَ سَراحَ آلْيكْسِس مِنَ آلسِّجْنِ .. كَلِمَتي آلأَخيرةُ يا سَيِّدُ هُولمْز .. عَلَيْكَ .. عَلَيْكَ .. أَنْ تُساعِدَني ... »

لَمْ تَكَدِ آلسَّيِّدةُ تُتِمُّ كَلامَها حَتّى سَقَطَتْ عَلى آلأَرْضِ ، فَٱنْحَنى هُولمْز بِسُرْعةٍ ، وَ آنْتَزَعَ مِنْ يَدِها زُجاجةً صَغيرةً ، وَ كانَتْ فارِغةً . قالَ هُولمْز : « لَقَدْ ماتَتْ يا واطْسُن ... لَقَدْ تَناوَلَتِ آلسُّمَّ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَخْبَئِها . »

الفَصْلُ آلسّادِسُ

كانَتْ هُناكَ بَعْضُ آلإِجْراءاتِ عَلَيْنا أَنْ نَقومَ بِها – أَنا وَ هُولمْز وَ هُوپْكِينْز – في يُوكْسلي . فَلَمّا آنْتَهَيْنا مِنْها سارَعْنا فَأَخَذْنا آلقِطارَ عائِدَيْنِ إِلى لَنْدَن . قالَ هُولمْز في أَثْناءِ آلسَّفَرِ :

« في آلحَقيقةِ لَمْ تَكُنْ هٰذِهِ آلقَضيَّةُ ، صَعْبَةً وَ لٰكِنْ كانَ لِلنَّظّارَةِ قيمَتُها في حَلِّها ؛ فَلَوْلاها لَما كُنْتُ أَسْتَطيعُ أَنْ أَهْتَدِيَ إِلى آلحَلِّ . لَقَدْ كانَ واضِحًا لي أَنَّ عَيْنَيِ آلسَّيِّدةِ كانَتا في غايةِ آلضَّعْفِ . وَ مِنْ ثَمَّ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُبْصِرَ بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ نَظّارَتَها . وَ لَوْ كانَتْ قَدْ هَرَبَتْ مِنَ آلمَنْزِلِ لَتَرَكَتْ أَقْدامُها أَثَرًا عَلى آلمَمَرِّ ، ثُمَّ أَنَّها لَمْ تَكُنْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَجْري عَلى آلعُشْبِ بِمُحاذاةِ آلمَمَرِّ بِدونِ نَظّارَتِها ، لِأَنَّ آلعُشْبَ مَزْروعٌ على مِساحَةٍ قَليلَةِ آلعَرْضِ ، وَ لَوْ جَرَتْ فَوْقَهُ لَسَقَطَتْ أَوْ وَطِئَتْ بِقَدَمَيْها آلمَمَرَّ ، وَ لِهٰذا تَأَكَّدَ لي أَنَّها لَمْ تُغادِرِ آلمَنْزِلَ عَلى آلإِطْلاقِ .

«لقد كانتْ هٰذِهِ أوَّلَ مَرَّةٍ تَدْخُلُ فيها المَنْزِلَ ، وَلِذٰلِكَ كان مِن السَّهْلِ أنْ تَرْتَكِبَ غَلْطَتَها : فالدِّهْلِيزانِ يَكادانِ يَكونانِ مُتَماثِلَيْنِ . وَقَدْ سَلَكَتِ أنا هْلِيزَ الحائِطِيَّ ، وَلَيْسَ هُناكَ بابٌ في حُجْرَةِ البُروفيسُور يُؤَدِّي إلى الحديقةِ ، وَقَدْ قُلْتُ في نَفْسي : لَعَلَّها لا تَزالُ في حُجْرَةِ البُروفيسُور ، ولٰكِنْ أيْنَ ؟ وَتَأمَّلْتُ في أرْضِيَّةِ الحُجْرَةِ فَوَجَدْتُها مَتينَةً جِدًّا . وَتَأكَّدْتُ أنَّهُ لا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ هُناكَ مَكانٌ سِرِّيٌّ تَحْتَها . ثُمَّ تَأمَّلْتُ في رُفوفِ الكُتُبِ ، فكَثيرًا ما يُوجَدُ مَكانٌ سِرِّيٌّ خَلْفَها في البُيوتِ القَديمَةِ . كانَتْ هُناكَ كُتُبٌ على أرْضِ الحُجْرَةِ أمامَ مُعْظَمِ الرُّفوفِ إلّا في مَكانٍ واحِدٍ ، فَأدْرَكْتُ أنَّ الرُّفوفَ في هٰذا المَكانِ قَدْ تَنْفَرِجُ كالبابِ ، وَلِهٰذا تَعَمَّدْتُ أنْ أدَخِّنَ كَثيرًا مِنَ السَّجائِرِ وَتَرَكْتُ رَمادَ التَّبْغِ يَسْقُطُ فَوْقَ الأرْضِ أمامَ هٰذِهِ الرُّفوفِ . وعِنْدَما خَرَجَتِ السَّيِّدَةُ مِنْ مَخْبَئِها لِتَناوُلِ طَعامِها ، تَرَكَتْ قَدَماها آثارًا فَوْقَ الرَّمادِ . وَلَدَى رُجُوعِها إلى الحُجْرَةِ أسْقَطْتُ عُلْبَةَ السَّجائِرِ عَلى الأرْضِ لِكَيْ أجِدَ سَبَبًا يَجْعَلُني أنْحَني لِأفْحَصَ رَمادَ التَّبْغِ بِعِنايَةٍ . وَحينَما رَأيْتُ الآثارَ فَوْقَهُ تَأكَّدَ لي أنَّها مُسْتَخْفِيَةٌ هُناكَ .»

كانَ القِطارُ قَدْ وَصَلَ إلى لَنْدَن ، فَقالَ هُولمز : «وَالآنَ يا هُويْكِينز .. ها نَحْنُ أولاءِ في مَحَطَّةِ تشيرِنْغ كْرُوس . أنا أعْلَمُ أنَّكَ يَجِبُ أنْ تَذْهَبَ إلى سْكُوتْلانْديارْد ، أمّا أنا وَواطْسُن فَعَلَيْنا أنْ نَذْهَبَ إلى مَكانٍ آخَرَ لِنُسَلِّمَ الأوْراقَ .»

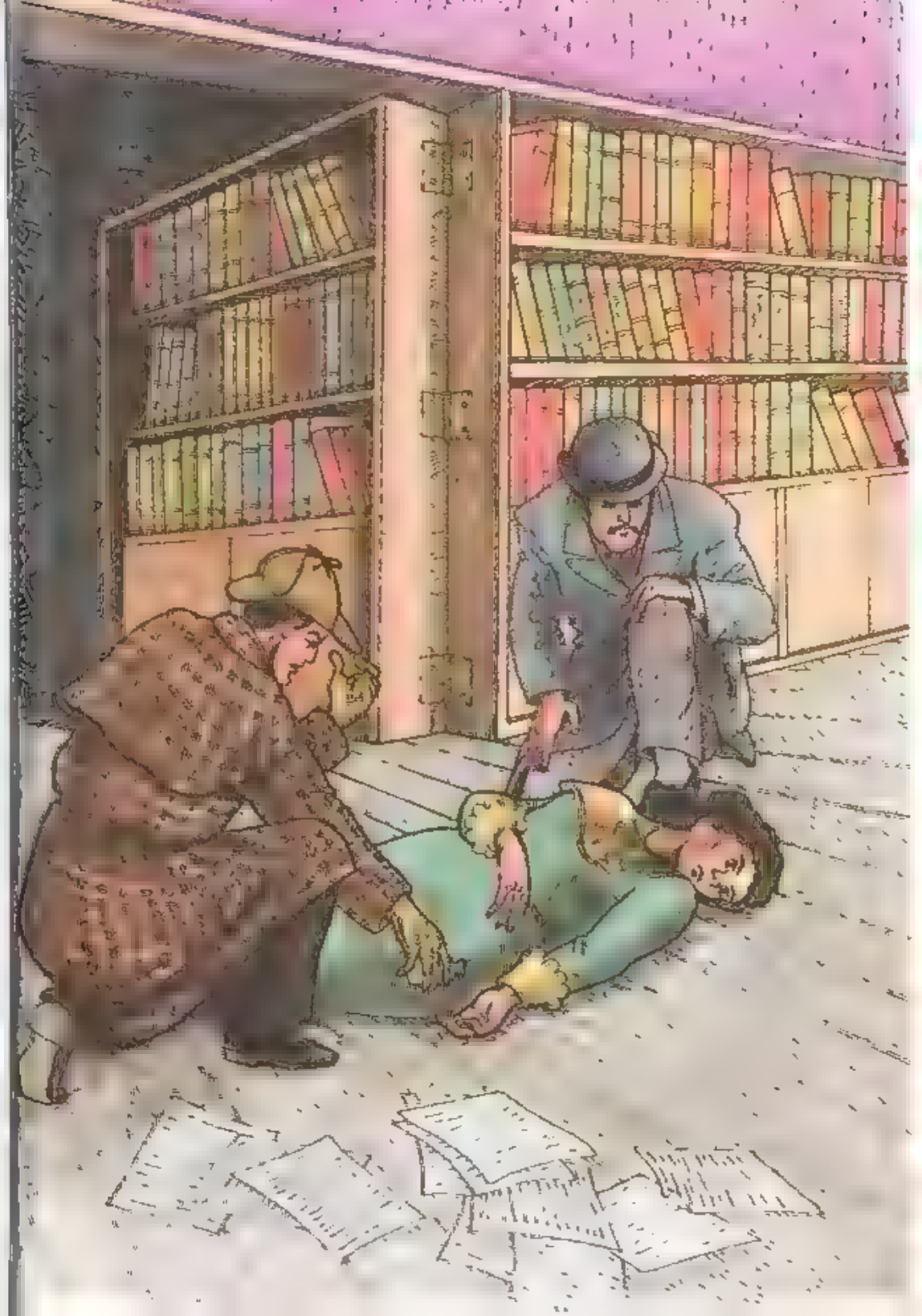

البنّاءُ المُختفي

الفصلُ الأوّل

قالَ لي شِرلوك هولمز ذاتَ صَباحٍ : « يَبدو أنّهُ لَمْ تَعُدْ هُناكَ قَضايا مُثيرَةٌ في هٰذِهِ الأيّامِ يا واطسُن ، وَ أنّ لَنْدَن أصبَحَتْ خالِيَةً مِنَ التَّشويقِ . »

قُلْتُ لَهُ : « لَسْتُ أعتَقِدُ أنَّ أهْلَ لَنْدَن يُوافِقونَكَ فيما تَقولُ . »

قالَ هولمز : « عَلى كُلِّ حالٍ يَنبَغي ألّا أفكّرَ في مَصْلَحَتي الخاصَّةِ فَحَسْبُ . » ثُمَّ تَنَسَّمَ وَ هُوَ يُزيحُ مَقْعَدَهُ إلى ما وَراءَ مائِدَةِ الإفطارِ قائِلًا : « إنَّهُ مِنَ الخَيْرِ لِلْجَميعِ ألّا يَكونَ لِرِجالِ المَباحِثِ مِنْ أمْثالي عَمَلٌ يَشْغَلُهُمْ . » وَ تَنَسَّمْتُ أنا كَذٰلِكَ .

لَقَدْ كانَ هُناكَ في الواقِعِ عَمَلٌ دائِبٌ شَغَلَ هولمز خِلالَ الأشْهُرِ القَليلَةِ الماضِيَةِ . وَ لٰكِنْ لا بُدَّ أنْ أقولَ إنَّ كُلَّ شَيْءٍ كانَ يَبْدو في غايَةِ الهُدوءِ في ذٰلِكَ الصَّباحِ ، إذْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ عَمَلٌ مُثيرٌ يَشْغَلُنا .

عادَ هولمز إلى الجُلوسِ في مَقْعَدِهِ ، وَ التَقَطَ صَحيفَتَهُ اليَوْمِيَّةَ ، وَ كانَ يُوشِكُ أنْ يَبْدَأَ في قِراءَتِها حينَما سَمِعْنا جَرَسَ البابِ يَدُقُّ دَقًّا عَنيفًا ، وَ سَمِعْتُ السَّيِّدَةَ هَدْسون تَفْتَحُ البابَ - وَ هِيَ السَّيِّدَةُ الَّتي تُعِدُّ لَنا الطَّعامَ ، وَ تَقومُ بِأعْمالِ النَّظافَةِ . وَ لَمْ يَكَدِ البابُ يُفْتَحُ حَتّى انْدَفَعَ مِنْهُ إلى داخِلِ المَنْزِلِ شَخْصٌ ما ، وَ فَتَحَ البابَ عَلَيْنا وَ وَقَفَ أمامَنا . كانَ يَبْدو عَلى الرَّجُلِ

الفَرَعُ الشَّديدُ ، حَتّى لَقَدِ اسْتَقَرَّ في خاطِري أنَّهُ هارِبٌ مِنْ أمْرٍ ما ؛ إذْ كانَ يَلْهَثُ بِشِدَّةٍ ، وَ يَتَنَفَّسُ بِسُرْعَةٍ .

بَدا عَلى الرَّجُلِ فَجْأَةً أنَّهُ أدْرَكَ أنَّنا - أنا وَ هولمز - مُنْدَهِشانِ بِسَبَبِ اقْتِحامِهِ المَنْزِلَ بِهٰذِهِ الطَّريقَةِ ، لِذٰلِكَ صاحَ قائِلًا :

« أنا آسِفٌ يا سَيِّدُ هولمز . لا بُدَّ أنْ أتَحَدَّثَ إلَيْكَ الآنَ .. لا أسْتَطيعُ الانْتِظارَ .. إنّي خائِفٌ جِدًّا .. أنا جون هِكْتور ماكْفارْلين ، وَ أعْتَقِدُ أنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ بِاسْمي . »

قالَ هولمز : « اجْلِسْ هادِئًا يا سَيِّدُ ماكْفارْلين . لا ، لَسْتُ أعْرِفُ اسْمَكَ . وَ لٰكِنّي أظُنُّ أنَّكَ لَسْتَ مُتَزَوِّجًا ، وَ أنَّكَ تَعْمَلُ مُحامِيًا . »

بَدَتْ عَلى الرَّجُلِ الدَّهْشَةُ . كَيْفَ عَرَفَ هولمز عَنْهُ ذٰلِكَ ! أمّا أنا فَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ لِيَبْعَثَ في نَفْسي أيَّةَ دَهْشَةٍ ، إذْ كانَ هولمز رَجُلَ مَباحِثَ مُمْتازًا ، وَ لا شَكَّ أنَّهُ لاحَظَ ثِيابَ الرَّجُلِ القَذِرَةَ ، وَ أوْراقَ المُحامينَ الَّتي يَحْمِلُها في يَدِهِ .

أجابَ الرَّجُلُ : « نَعَمْ يا سَيِّدي ، هٰذا صَحيحٌ ! وَ صَحيحٌ كَذٰلِكَ أنَّني أتْعَسُ إنْسانٍ في لَنْدَن اليَوْمَ. أرْجوكَ يا سَيِّدُ هولمز ، لا بُدَّ أنْ تُساعِدَني ، فَأنا أعْتَقِدُ أنَّ رِجالَ الشُّرْطَةِ في طَريقِهِمِ الآنَ لِكَيْ يَعْتَقِلوني ، وَ قَدْ لَمَحْتُ أحَدَ رِجالِ المَباحِثِ يَتَعَقَّبُني مِنَ المَحَطَّةِ حَتّى بابِ مَنْزِلِكَ . أنا لا يَهُمُّني أنْ أساقَ إلى السِّجْنِ إذا ما تَأكَّدَ لي أنَّكَ سَوْفَ تَقِفُ إلى جانِبي . »

قالَ هُولمْز وَهُوَ في غايَةِ ٱلبِشْرِ وَٱلسُّرورِ : « هَلْ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ قادِمونَ ؟ »

كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ يَأْمُلُ أَنْ تَكونَ هُناكَ قَضِيَّةٌ مُثيرَةٌ في ٱلطَّريقِ إِلَيْهِ . ثُمَّ تَذَكَّرَ هُولمْز ٱلسَّيِّدَ ماكْفارْلين ٱلمِسْكينَ فَقالَ :

« أَنا آسِفٌ يا سَيِّدُ ماكْفارْلين إِذْ لَمْ أَكُنْ أُفَكِّرْ فيكَ هٰذِهِ ٱللَّحْظَةَ . إِنَّ ٱلأَمْرَ يَبْدو مُثيرًا حَقًّا ، لٰكِنْ لِماذا يَتَعَقَّبُكَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ ؟ »

أَجابَ : « إِنَّهُمْ يَعْتَقِدونَ أَنَّني قَتَلْتُ رَجُلًا ٱسْمُهُ جوناس أُولْداكْر ، كانَ يُقيمُ في نُورْوُود ٱلدُّنيا . »

ٱلْتَقَطَ ٱلزّائِرُ ٱلصَّحيفَةَ ٱليَوْمِيَّةَ بِيَدَيْنِ مُرْتَعِشَتَيْنِ – وَلَمْ يَكُنْ هُولمْز قَدْ قَرَأَها بَعْدُ – وَقالَ : « لَوْ أَنَّكَ تَصَفَّحْتَ صَحيفَتَكَ لَعَرَفْتَ ٱلسَّبَبَ في لُجوئي إِلَيْكَ يا سَيِّدُ هُولمْز . أَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ في لَنْدَن قَدْ أَصْبَحَ يَعْرِفُ ٱسْمِيَ ٱلآنَ . ٱنْظُرْ هُنا في ٱلصَّفَحاتِ ٱلدّاخِلِيَّةِ . » وَأَحَدَ يَقْرَأُ : حَريقٌ في نُورْوُود ٱلدُّنْيا . رَجُلٌ ثَرِيٌّ يَخْتَفي . هَلْ هُوَ مَيِّتٌ ؟ هَلْ قُتِلَ ؟

« تَقولُ ٱلصَّحيفَةُ إِنَّ ٱلشُّرْطَةَ تَعْتَقِدُ أَنَّني قَتَلْتُ ٱلسَّيِّدَ أُولْداكْر بِهَدَفِ ٱلِٱسْتِيلاءِ عَلى مالِهِ . إِنَّ هٰذا ٱلخَبَرَ سَيَقَعُ عَلى أُمِّيَ ٱلمِسْكينَةِ وَقْعَ ٱلصّاعِقَةِ ، وَسَيُسَبِّبُ لَها تَعاسَةً بالِغَةً . ماذا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ ؟ »

نَظَرْتُ إِلى ٱلسَّيِّدِ ماكْفارْلين مُتَفَحِّصًا . كانَ رَجُلًا أَشْقَرَ ، وَقَدَّرْتُ أَنَّهُ

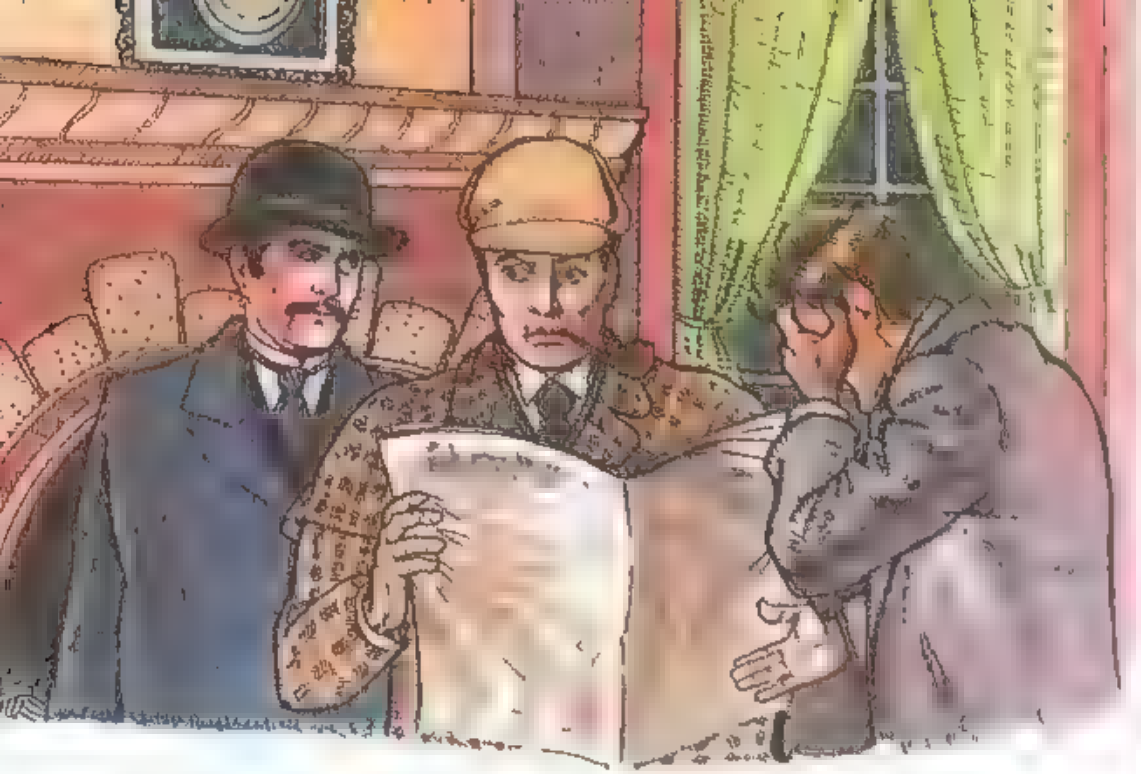

في حَوالَى ٱلسّابِعَةِ وَٱلعِشْرينَ مِنَ ٱلعُمْرِ ، وَبَدا لي مِنْ ثِيابِهِ ٱلأَنيقَةِ أَنَّهُ مَوْفورُ ٱلمالِ .

قالَ هُولمْز يُخاطِبُني : « لَيْسَ لَدَيْنا فُسْحَةٌ مِنَ ٱلوَقْتِ يا واطْسُن ، فَأَرْجو أَنْ تَقْرَأَ لَنا ما جاءَ في ٱلصَّحيفَةِ عَنِ ٱلحادِثِ . »

قَرَأْتُ فيها ما يَلي : « في ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ – أَوْ ساعَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنْ صَباحِ ٱليَوْمِ – وَقَعَ حادِثٌ في صاحِيَةِ نُورْوُود ٱلدُّنيا . وَتَخْشى ٱلشُّرْطَةُ أَنْ يَكونَ أَحَدُ ٱلرِّجالِ مِنْ ذَوي ٱلمَكانَةِ قَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ في هٰذا ٱلحادِثِ .

« إنَّ جَميعَ سُكّانِ نُورْوُد آلدُّنيا يَعْرِفونَ آسمَ آلسَّيِّد جوناس أُولْداكر آلبَنّاء آلَّذي يَبْلُغُ آلثّانِيَةَ وَ آلسّتّينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَ يَعيشُ عَزَبًا (غَيْرَ مُتَزَوِّج) في مَنْزِلِ دِيب دِين في شارِعِ سيدِنْهام . وَ لَقَدْ كَوَّنَ آلسَّيِّدُ جُوناس ثَرْوَةً كَبيرَةً مِنْ أَعْمالِهِ في آلتَّشْييدِ وَ آلبِناءِ مُنْذُ كانَ شابًّا . أَمّا آلْيَوْمَ فَقَدِ آعْتَزَلَ آلمِهْنَةَ وَ لَمْ يَعُدْ يَعْمَلُ ، وَ لٰكِنَّهُ لا يَزالُ يَحْتَفِظُ في آلفِناءِ آلخَلْفِيِّ مِنْ مَنْزِلِهِ بِكَمِّيَّةٍ مِنَ آلأَخْشابِ .

« في آللَّيْلَةِ آلماضِيَةِ – حَوالَى آلسّاعَةِ آلثّانِيَةَ عَشْرَةَ – شَبَّتِ آلنّارُ في بَعْضِ هٰذِهِ آلأَخْشابِ – أَوْ لَعَلَّ شَخْصًا ما أَشْعَلَ فيها آلنّارَ – وَ كانَ مِنَ آلمُسْتَحيلِ أَنْ يُخْمَدَ آلحَريقُ .

« في آلبِدايَةِ ، كانَ آلأَمْرُ يَبْدو كَأَنَّهُ حَريقٌ عادِيٌّ ، وَ لٰكِنَّ بَعْضَهُمْ تَنَبَّهَ إِلى أَنَّ صاحِبَ آلمَنْزِلِ لَمْ يَكُنْ هُناكَ ، وَ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَنَمْ في فِراشِهِ ، كَما وُجِدَتْ بَعْضُ أَوْراقٍ هامَّةٍ فَوْقَ مِنْضَدَةٍ في إِحْدى آلغُرَفِ آلأُخْرى . وَ بَدا كَما لَوْ أَنَّ عِراكًا قَدْ حَدَثَ في هٰذِهِ آلغُرْفَةِ ؛ إِذْ كانَتْ هُناكَ عَصًا عَلى آلأَرْضِ ، وَ بِجِوارِها بُقَعٌ مِنَ آلدِّماءِ .

« لَقَدِ آكْتَشَفَ رِجالُ آلشُّرْطَةِ أَنَّ زائِرًا جاءَ لِزِيارَةِ آلسَّيِّدِ أُولْداكر في آللَّيْلَةِ آلماضِيَةِ ، وَ هُمْ يَعْتَقِدونَ أَنَّهُ صاحِبُ آلعَصا آلَّتي وُجِدَتْ عَلى آلأَرْضِ ، وَ تَبَيَّنَ أَنَّ هٰذا آلزّائِرَ يَعْمَلُ مُحامِيًا ، وَ آسْمُهُ هِكْتور ماكْفارْلين ، وَ آلمُتَوَقَّعُ أَنَّ أَمْرًا مُثيرًا سَوْفَ يَتَكَشَّفُ عَمّا قَريبٍ . »

في أَسْفَلِ آلصَّفْحَةِ كانَتْ هُناكَ بَعْضُ مَعْلوماتٍ أُخْرى أُضيفَتْ إِلى آلخَبَرِ بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَ هِيَ :

« هُناكَ مَنْ يَقولونَ إِنَّ آلسَّيِّدَ ماكْفارْلين قَدْ تَمَّ آعْتِقالُهُ ، وَ إِذا لَمْ يَكُنْ قَدِ آعْتُقِلَ فَالمُؤَكَّدُ أَنَّ رِجالَ آلشُّرْطَةِ يَجِدُّونَ في آلبَحْثِ عَنْهُ . أَمّا في نُورْوُد حَيْثُ وَقَعَ آلحادِثُ – فَهُناكَ مَيْلٌ إِلى آلِاعْتِقادِ أَنَّ شَيْئًا قَدْ تَمَّ جَرُّهُ فَوْقَ آلعُشْبِ مِنَ آلمَنْزِلِ إِلى آلمَكانِ آلَّذي فيهِ آلأَخْشابُ .

« يُقالُ إِنَّهُ مِنَ آلمُحْتَمَلِ أَنَّ جُثَّةً قَدْ أُحْرِقَتْ مَعَ آلأَخْشابِ ، وَ يَبْدو أَنَّ آلتَّفْكيرَ يَتَّجِهُ إِلى أَنَّ آلسَّيِّدَ أُولْداكر قُتِلَ في مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ نُقِلَتْ جُثَّتُهُ إِلى خارِجِ آلمَنْزِلِ حَيْثُ أُحْرِقَتْ . هٰذا وَ يَتَوَلّى تَحْقيقَ آلقَضِيَّةِ آلسَّيِّدُ لِيسْتريد ضابِطُ آلمَباحِثِ باسْكُتْلانْديارْد ، وَ نَحْنُ عَلى ثِقَةٍ أَنَّهُ سَوْفَ يَكْشِفُ عَنْ سَبَبِ ما حَدَثَ في وَقْتٍ قَريبٍ . »

كانَ أَوَّلُ سُؤالٍ وَجَّهَهُ شيرْلُوك هُولمْز إِلى آلسَّيِّدِ ماكْفارْلين هُوَ : « لِماذا لَمْ يَقُمْ رِجالُ آلشُّرْطَةِ بِآعْتِقالِهِ قَبْلَ ذٰلِكَ ؟ » وَ كانَ جَوابُهُ :

« إِنَّني أُقيمُ مَعَ أُمّي وَ أَبي في بَيْتِ تُورينغْتون في بْلاك هيث . وَ لٰكِنّي لَمْ أَكُنْ في آلبَيْتِ في آللَّيْلَةِ آلماضِيَةِ ، وَ إِنَّما قَضَيْتُ آللَّيْلَ في فُنْدُقٍ قَريبٍ مِنْ مَنْزِلِ آلسَّيِّدِ أُولْداكر في نُورْوُد ، حَيْثُ كُنْتُ قَدْ قُمْتُ بِزِيارَةٍ لَهُ في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ آللَّيْلِ . وَ سَوْفَ تُحاوِلُ آلشُّرْطَةُ هٰذا آلصَّباحَ أَنْ تَبْحَثَ عَنّي حَيْثُ أُقيمُ ، أَوْ في مَكْتَبي ، وَ لَعَلَّ رَجُلَ آلمَباحِثِ آلَّذي تَعَقَّبَني يَحْضُرُ إِلى هُنا في أَثَري . »

اَلْفَصْلُ اَلثَّاني

فَجْأَةً رَنَّ جَرَسُ اَلْبابِ اَلْخارِجِيِّ مَرَّةً ثانِيَةً ، وَسَمِعَا اَلسَّيِّدَةَ هَدْسون تَأْذَنُ لِبَعْضِ اَلزُّوّارِ بِالدُّخولِ . وَانْفَتَحَ بابُنا لِنَرى صَديقَنا اَلسَّيِّدَ لِيسْتِريد ضابِطَ اَلْمَباحِثِ بِاسْكُتْلانْديارْد يَدْخُلُ إِلى حَيْثُ كُنَّا ، وَنَظَرَ لِيسْتِريد إِلى ماكْفارْلين وَقالَ : « أَنْتَ جون هِكْتور ماكْفارْلين ، عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعي لِأَنَّكَ قَتَلْتَ جوناس أولْداكر اَللَّيْلَةَ اَلْماضِيَة . »

نَهَضَ ماكْفارْلين مِنْ مَقْعَدِهِ وَقَدِ ابْيَضَّ وَجْهُهُ ، فَقالَ هُولمْز : « اِجْلِسْ ! وَأَنْتَ يا سَيِّدُ لِيسْتِريد ، أَرْجو أَنْ تَجْلِسَ أَيْضًا . »

قالَ لِيسْتِريد : « لَكِنِّي لا بُدَّ أَنْ آخُذَ مَعي اَلسَّيِّدَ ماكْفارْلين . »

ردَّ هُولمْز : « إِنَّ نِصْفَ ساعَةٍ لَنْ تَكونَ ذاتَ أَهَمِّيَّةٍ بِالنِّسْبَةِ لَكَ يا سَيِّدُ

لِيسْتِريد . إِنَّ اَلسَّيِّدَ ماكْفارْلين كانَ يُوشِكُ أَنْ يَقُصَّ عَلَيْنا ما حَدَثَ في اَللَّيْلَةِ اَلْماضِيَة . »

قالَ لِيسْتِريد : « حَسَنًا يا سَيِّدُ هُولمْز ! تَقْديرًا لِما بَيْنَنا مِنْ صَداقَةٍ ، وَلِما قَدَّمْتَ لي مِنْ مُعاوَنَةٍ فيما مَضى ، سَوْفَ أَنْتَظِرُ لِمُدَّةِ نِصْفِ ساعَةٍ فَقَطْ .. لا أَكْثَرَ . »

قالَ هُولمْز : « شُكْرًا لَكَ . »

طَلَبَ مِنَ اَلسَّيِّدِ ماكْفارْلين أَنْ يَقُصَّ عَلَيْنا ما حَدَثَ بِالضَّبْطِ . وَبَدَأَ اَلسَّيِّدُ ماكْفارْلين حَديثَهُ فَقالَ .

« حَتَّى صَبيحَةِ أَمْسِ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ اَلسَّيِّدِ أولْداكر فيما عَدا اِسْمَهُ ؛ فَلَقَدْ كانَ صَديقًا لِوالِدي ، وَلا شَيْءَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . وَلَقَدْ أَحْدَثَتْ دَهْشَةً شَديدَةً حينَما حَضَرَ إِلى مَكْتَبي بِالأَمْسِ . وَكانَ مَعَهُ هٰذِهِ اَلأَوْراقُ اَلَّتي تَرَوْنَها ، وَقالَ إِنَّها تَتَضَمَّنُ وَصِيَّتَهُ . وَبِما أَنَّي مُحامٍ ، فَقَدْ طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَنْسَخَ لَهُ صورَةً مُطابِقَةً مِنْها ، وَأَبْدى رَغْبَتَهُ في أَنْ يَنْتَظِرَ حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ نَسْخِها .

« حينَ شَرَعْتُ في اَلْعَمَلِ سَرْعانَ ما تَبَيَّنَ لي أَنَّهُ يُريدُ أَنْ أُرِثَ كُلَّ أَمْوالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَلَمْ أَفْهَمِ اَلسَّبَبَ اَلَّذي دَعاهُ إِلى هٰذا اَلتَّصَرُّفِ فلمَّا سَأَلْتُهُ أَجابَ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ يَرِثُهُ ، وَلَمَّا كانَ صَديقًا لِأَبي فَقَدِ اِتَّجَهَتْ رَغْبَتُهُ إِلى أَنْ يُوَرِّثَني مالَهُ . وَبِالطَّبْعِ ، شَكَرْتُ لَهُ هٰذا اَلْعَطْفَ الكَبيرَ ، وَلَكِنَّ دَهْشَتي اَلشَّديدَةَ لَمْ تُفارِقْني .

«لَمَّا فَرَغْتُ مِنْ نَسْخِ صورَةِ الْوَصِيَّةِ بِقَدْرِ ما أَمْكَنَنِي مِنْ سُرْعَةٍ ، طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَحْضُرَ إِلى مَنْزِلِهِ لَيْلًا لِكَيْ يُطْلِعَنِي عَلى بَعْضِ الأَوْراقِ الْمُهِمَّةِ . وَكانَ آخِرُ ما قالَهُ لي هُوَ : «أَرْجو أَلّا تُطْلِعَ عَلى هٰذا الأَمْرِ أُمَّكَ أَوْ أَباكَ ، فَإِنِّي أُريدُ أَنْ يَكونَ مُفاجَأَةً لَهُما .»

اسْتَمَرَّ ماكْفارْلين في حَديثِهِ فَقالَ : «لَقَدْ كانَ كَريمًا عَطوفًا مَعي ، حَتّى إِنِّي عَزَمْتُ عَلى أَنْ أُنَفِّذَ ما طَلَبَهُ تَمامًا . وَهٰكَذا زَعَمْتُ لِأَبي أَنَّ لَدَيَّ عَمَلًا مُهِمًّا لا بُدَّ أَنْ أُنْجِزَهُ ، وَأَنَّني بِسَبَبِ ذٰلِكَ قَدْ أَتَأَخَّرُ طَويلًا في الْعَوْدَةِ إِلى الْبَيْتِ لَيْلًا .

«كانَ السَّيِّدُ أُولْداكْر قَدْ دَعانِيَ لِتَناوُلِ الْعَشاءِ مَعَهُ في السّاعَةِ التّاسِعَةِ مَساءً ، وَلٰكِنَّ الاهْتِداءَ إِلى مَسْكَنِهِ اسْتَغْرَقَ مِنِّي وَقْتًا طَويلًا . لِذٰلِكَ لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ إِلّا في التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ . وَحينَما الْتَقَيْتُ بِالسَّيِّدِ أُولْداكْر ...»

هُنا صاحَ شيرْلوك هُولمْز : «مَهْلًا ! مَنِ الَّذي فَتَحَ الْبابَ ؟»

أَجابَ السَّيِّدُ ماكْفارْلين : «سَيِّدَةٌ عَجوزٌ . أَعْتَقِدُ أَنَّها تَعْمَلُ لَدى السَّيِّدِ أُولْداكْر .»

سَأَلَهُ هُولمْز : «هَلْ هِيَ الَّتي أَخْبَرَتِ السَّيِّدَ أُولْداكْر أَنَّكَ وَصَلْتَ ؟»

أَجابَ : «نَعَمْ ، ثُمَّ أَخَذَتْني إِلى حُجْرَةٍ ، حَيْثُ كانَ هُناكَ طَعامٌ بَسيطٌ عَلى الْمائِدَةِ في انْتِظاري ، فَأَكَلْتُ بَعْضًا مِنْهُ ، ثُمَّ أَخَذَني السَّيِّدُ أُولْداكْر إِلى حُجْرَةِ نَوْمِهِ ، وَكانَ فيها صُوانٌ مَتينٌ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ كَمِّيَّةً مِنَ الأَوْراقِ عَكَفْنا

عَلى الْعَمَلِ فيها لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ . وَلَمْ أَنْتَهِ مِنَ الْعَمَلِ إِلّا حَوالَى السّاعَةِ الْحادِيَةَ عَشْرَةَ وَالنِّصْفِ . لِذٰلِكَ قالَ السَّيِّدُ أُولْداكْر إِنَّهُ يَحْسُنُ – عِنْدَ مُغادَرَتي أَنْ أَخْرُجَ بِهُدوءٍ مِنَ الْبابِ الْخَلْفِيِّ ، حَيْثُ إِنَّ السَّيِّدَةَ الْعَجوزَ نائِمَةٌ .

«حينَما تَأَهَّبْتُ لِلْخُروجِ لَمْ أَجِدْ عَصايَ ، فَقالَ لِيَ السَّيِّدُ أُولْداكْر : «لا تَدَعْ أَمْرَ الْعَصا يَشْغَلُكَ يا بُنَيَّ . تَسْتَطيعُ أَنْ تَحْضُرَ لِأَخْذِها فيما بَعْدُ ، وَآمُلُ أَنْ تَزورَني مِنْ آنٍ لِآخَرَ مِنَ الآنَ فَصاعِدًا .»

«عِنْدَما تَرَكْتُهُ كانَ الصُّوانُ مَفْتوحًا ، وَكانَتِ الأَوْراقُ عَلى الْمِنْضَدَةِ . وَلَمّا كانَ الْوَقْتُ قَدْ تَأَخَّرَ كَثيرًا ، لَمْ أَسْتَطِعِ الْعَوْدَةَ إِلى بْلاك هيث . وَآثَرْتُ أَنْ أَقْضِيَ بَقِيَّةَ اللَّيْلِ في فُنْدُقِ أَتْرِلي آرْمز في نورْوُود . وَلَمْ أَعْلَمْ شَيْئًا عَنِ الْحادِثِ حَتّى قَرَأْتُ عَنْهُ في صُحُفِ الصَّباحِ .»

تَوَقَّفَ السَّيِّدُ ماكْفارْلين عَنِ الْحَديثِ ، فَقالَ لِيسْتريد : «هَلْ لَدَيْكَ أَسْئِلَةٌ أُخْرى يا سَيِّدُ هُولمْز ؟»

قالَ هُولمْز : «لا ، وَلٰكِنِّي أُريدُ أَنْ أَذْهَبَ إِلى بْلاك هيث أَوَّلًا .»

سَأَلَهُ لِيسْتريد : «أَلَسْتَ تَعْني نورْوُود ؟»

أَجابَ هُولمْز وَهُوَ يَبْتَسِمُ لِلِيسْتريد : «رُبَّما !»

بَدا عَلى ضابِطِ الْمَباحِثِ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ ما يُريدُهُ هُولمْز . وَالْواقِعُ أَنَّ هُولمْز كانَ ذا قُدْرَةٍ عَلى تَفَهُّمِ الأَشْياءِ بِأَسْرَعَ مِمَّا يَسْتَطيعُ لِيسْتريد . وَكانَ لِيسْتريد يَعْرِفُ هٰذا عَنْ هُولمْز .

قال لِيسْتريد لِسيِّد ماكْفارْلين : «هُناكَ شُرْطِيَّانِ يَنْتظِرانِكَ في الخارِجِ ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ مَعَهُما الآنَ .»

إِقْتادَ الشُّرْطِيَّانِ السَّيِّدَ ماكْفارْلين وَوَجْهُهُ لا يَزالُ شاحِبًا ، وَكانَ يَنْظُرُ إلى هُولمْز في حُزْنٍ شَديدٍ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

بَعْدَ ذَهابِ ماكْفارْلين بَقِيَ لِيسْتريد مَعَنا ، وَتَناوَلَ هُولمْز الأَوْراقَ الَّتي تَرَكَها المُحامي فَأَلْقى عَلَيْها نَظْرَةً ، ثُمَّ قَدَّمَها إلى لِيسْتريد قائِلًا :

«إِنَّها ذاتُ أَهَمِّيَّةٍ كَبيرةٍ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ يا لِيسْتريد ؟»

نَظَرَ لِيسْتريد إلى الأَوْراقِ لَحَظاتٍ ثُمَّ قال : «إِنَّني أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْهَمَ الأَسْطُرَ القَليلَةَ الأُولى تَمامًا ؛ إِذْ إِنَّ الكِتابَةَ واضِحَةٌ ، أَمَّا بَعْدَ ذٰلِكَ فَإِنَّ الكِتابَةَ في غايَةِ الرَّداءَةِ حَتَّى إِنَّني لا أَسْتَطيعُ قِراءَتَها . ثُمَّ يَلي ذٰلِكَ بِضْعَةُ أَسْطُرٍ أُخْرى قَليلَةٍ تَتَّضِحُ فيها الكِتابَةُ ، ثُمَّ تَعودُ إلى الرَّداءَةِ مِنْ جَديدٍ .»

قالَ هُولمْز : «تُرى ما سَبَبُ ذٰلِكَ ؟»

رَدَّدَ لِيسْتريد السُّؤالَ نَفْسَهُ : «ما سَبَبُ ذٰلِكَ ؟»

أَجابَ هُولمْز : «إِنَّ الإِجابَةَ في غايَةِ البَساطَةِ : كَتَبَها السَّيِّدُ أُولْداكْر وَهُوَ في القِطارِ حينَما كانَ قادِمًا إلى لَنْدَن لِيَرى السَّيِّدَ ماكْفارْلين ، وَقَدْ كَتَبَ

الأَجْزاءَ الواضِحَةَ عِنْدَما كانَ القِطارُ يَتَوَقَّفُ في المَحَطّاتِ ، وَكَتَبَ الأَجْزاءَ الرَّديئَةَ أَثْناءَ تَحَرُّكِ القِطارِ .»

ضَحِكَ السَّيِّدُ لِيسْتريد ثُمَّ قالَ : «حَسَنٌ جِدًّا يا سَيِّدُ هُولمْز ، وَلٰكِنْ كَيْفَ نَنْتَفِعُ بِهٰذا في القَضِيَّةِ الَّتي أَمامَنا ؟»

أَجابَ هُولمْز : «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِمَّا يَدْعو إلى الدَّهْشَةِ أَنْ يَقومَ أَحَدُ النَّاسِ بِكِتابَةِ وَصِيَّتِهِ في القِطارِ . إِنَّ الأَمْرَ لَيَبْدو وَكَأَنَّ السَّيِّدَ أُولْداكْر لَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ في مَوْضوعِ الوَصِيَّةِ بِجَدِّيَّةٍ ، أَوِ اهْتِمامٍ .»

قالَ لِيسْتريد : «لَقَدْ كانَ الأَمْرُ ذا أَهَمِّيَّةٍ كَبيرةٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُ . أَلَمْ تَكُنِ الوَصِيَّةُ هِيَ السَّبَبَ الَّذي أَدّى بِهِ إلى أَنْ يَكونَ الآنَ في عِدادِ الأَمْواتِ ؟»

سَأَلَهُ هُولمْز : «أَوَ تَظُنُّ الأَمْرَ كَذٰلِكَ ؟»

قالَ لِيسْتريد : «وَهَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ غَيْرُ ذٰلِكَ ؟»

أَجابَ هُولمْز : «هٰذا مُحْتَمَلٌ ، وَلٰكِنَّ المَسْأَلَةَ في نَظَري لَيْسَتْ واضِحَةَ الوُضوحِ الكافي بَعْدُ .»

قالَ لِيسْتريد : «لَيْسَتْ واضِحَةً ؟! إِنَّها واضِحَةٌ كُلَّ الوُضوحِ في نَظَري . عِنْدَما عَرَفَ السَّيِّدُ ماكْفارْلين أَنَّهُ سَوْفَ يَحْصُلُ عَلى أَمْوالِ السَّيِّدِ أُولْداكْر ذَهَبَ إلى نُورْوُود وَقَتَلَهُ . ثُمَّ أَحْرَقَ جُثَّتَهُ مَعَ الأَحْشابِ . وَكانَ يَأْمُلُ أَلّا يَعْلَمَ أَحَدٌ ما حَدَثَ لِلسَّيِّدِ أُولْداكْر ، عَلى أَساسِ أَنَّهُ لَنْ يَهْتَدِيَ أَحَدٌ إلى أَثَرٍ مِنْ مَعالِمِ الجَريمَةِ . إِنَّ الأَمْرَ – بِالنِّسْبَةِ لي – في غايَةِ البَساطَةِ .»

قال هُولمز : «في غايةِ البساطةِ ؟! إنَّ السَّيِّدَ ماكفارلين ليسَ غبيًّا ؛ فمنَ الحُمقِ الشَّديدِ أنْ يقتُلَ إنسانًا في اليومِ نفسِهِ الَّذي كتبَ فيهِ هذا الإنسانُ وصيَّتَهُ لصالحِهِ . كما أنَّهُ مِنَ الحُمقِ أنْ يقتُلَ السَّيِّدَ أولداكر مَعَ علمِهِ أنَّ حادِمَتَهُ تعرِفُ مَنِ الَّذي كانَ في المنزِلِ في هذهِ الليلةِ . ألا تذكُرُ ؟ السَّيِّدةُ العجوزُ هيَ الَّتي فتحَتِ البابَ للسَّيِّدِ ماكفارلين ! وشيءٌ آخرُ : لماذا يُحرِقُ الجُثَّةَ بهذا الأسلوبِ الحريصِ الحَذِرِ ، ومَعَ ذلكَ يتركُ عصاهُ في الغُرفةِ في غيرِ حِرصٍ ولا حَذرٍ ؟»

قالَ ليستريد : «أنتَ تعلَمُ يا سيِّدُ هولمز أنَّ المرءَ حينما يقتُلُ إنسانًا فإنَّ تفكيرَهُ في تلكَ اللَّحظاتِ - يكونُ في الغالبِ مُشوَّشًا ، ومِنَ السَّهلِ أنْ ينسى شيئًا مثلَ العصا ، ولعلَّهُ كانَ يخافُ أنْ يعودَ ثانيةً إلى الغُرفةِ . ومَعَ هذا ، هلْ تستطيعُ أنْ تُقدِّمَ لي سببًا آخرَ لمقتلِ السَّيِّدِ أولداكر ؟»

قالَ هولمز : «أستطيعُ أنْ أفكِّرَ في أسبابٍ كثيرةٍ محتمَلةٍ : فمثلًا لنفرضْ أنَّ شخصًا كانَ يمُرُّ بالمنزلِ في هذا الوقتِ ورأى الرَّجُلَيْنِ في الغُرفةِ ومعَهُما الأوراقُ . فظنَّ أنَّ في حوزتِهِما مالًا ، وعندما غادرَ السَّيِّدُ ماكفارلين المنزلَ ، فمِنَ المحتمَلِ أنَّ هذا الشَّخصَ تسلَّلَ مِنْ خلالِ النَّافذةِ ، وقتلَ السَّيِّدَ أولداكر .»

سألَهُ ليستريد : «إذا كانَ الأمرُ كذلكَ ، فلماذا لمْ يسرِقِ القاتلُ أيَّ شيءٍ ؟»

أجابَ هولمز : «لأنَّهُ لمْ يجدْ إلَّا الأوراقَ ؛ إذْ لمْ يكُنْ هُناكَ أيُّ نقودٍ في الغُرفةِ .»

مَعَ أنَّ ليستريد ، بعدَ هذا ، بدا متشكِّكًا بعضَ الشَّيءِ في صحَّةِ أفكارِهِ ، فإنَّهُ قالَ : «حسنًا ، تستطيعُ يا سيِّدُ هولمز أنْ تبحثَ عنِ الحاني إذا أردتَ ، أمَّا أنا فأعتقِدُ أنَّ السَّيِّدَ ماكفارلين هوَ الَّذي قتلَ السَّيِّدَ أولداكر . إنَّ لديهِ سببًا قويًّا لقتلِهِ . ثُمَّ إنَّهُ الشَّخصُ الوحيدُ على ظهرِ البسيطةِ الَّذي لمْ يكُنْ بحاجةٍ إلى سرقةِ أيِّ شيءٍ ، لأنَّ كلَّ شيءٍ سوفَ يكونُ ملكًا لهُ - بالوراثةِ - عاجلًا .»

قالَ هولمز : «أنا لمْ أقُلْ إنَّكَ على خطأٍ ، إنَّما أردتُ أنْ أريكَ أنَّ هُناكَ ظروفًا أُخرى محتمَلةً لمقتلِ السَّيِّدِ أولداكر . إلى اللقاءِ يا سيِّدُ ليستريد ، وأتوقَّعُ أنْ أحضُرَ لأراكَ في نورْوود بعدَ ظهرِ اليومِ .»

بعدَ انصرافِ ليستريد أخذَ هولمز يرتدي معطفَهُ وهوَ يقولُ : «سأذهَبُ إلى بلاك هيث .»

قلتُ لهُ متسائلًا : «لماذا لا تذهَبُ إلى نورْوود ؟»

أجابَ : «هُناكَ أمرانِ غريبانِ قد حدثا يا صديقي ، ولكنَّ رجالَ الشُّرطةِ لا يفكِّرونَ إلَّا في واحدٍ منهُما فقطْ ، أمَّا أوَّلُهما فهوَ هذهِ الوصيَّةُ الغريبةُ ، فأنا أريدُ أنْ أعرِفَ لماذا أرادَ السَّيِّدُ أولداكر أنْ يوصيَ بمالِهِ للسَّيِّدِ ماكفارلين ؟»

سَأَلْتُهُ : «أتُريدُني أنْ أذْهَبَ مَعَكَ ؟»

أجابَ : «لا ، لَيْسَ ذٰلِكَ ضَرورِيًّا ؛ فَلَيْسَ هُناكَ خَطَرٌ ما .»

تَرَكَني هُولمْز وَانصَرَفَ ، وَأنا أعْلَمُ أنَّ لَهُ رَغْبَةً في مَدِّ يَدِ المَعونَةِ لِلسَّيِّد ماكْفارْلين بِقَدْرِ ما يَسْتَطيعُ .

الفَصْلُ الرَّابِعُ

كانَ الوَقْتُ مُتَأخِّرًا حينَما عادَ صَديقي هُولمْز مِنْ ثْلاك هِيث . وَكانَ يَبْدو عَلى وَجْهِهِ أنَّهُ غَيْرُ سَعيد . وَقَدْ بادَرَني قائِلًا :

«واطْسُن ، يَبْدو أنَّ القَضِيَّةَ لَيْسَتْ سَهْلَةً ، وَفي هٰذِهِ المَرَّةِ يُخَيَّلُ إلَيَّ أنَّ لِسْتريد قَدْ يَكونُ عَلى حَقّ . أنا لا أزالُ أعْتَقِدُ أنَّ ماكْفارْلين لَمْ يَقْتُلْ أوْلْداكْر ، وَلٰكِنَّ الحَقائِقَ تُؤَيِّدُ لِسْتريد فيما يَراهُ ، وَلا تُؤَيِّدُني فيما أرى . يُخَيَّلُ إلَيَّ أنَّهُ رُبَّما يَكْسِبُ الجَوْلَةَ هٰذِهِ المَرَّةَ .»

سَأَلْتُهُ : «هَلْ ذَهَبْتَ إلى ثْلاك هِيث ؟»

أجابَ : «نَعَمْ ، وَسُرْعانَ ما اكْتَشَفْتُ أنَّ أوْلْداكْر كانَ رَجُلًا سَيِّئًا غايَةَ السُّوء . وَلَقَدْ تَحَدَّثْتُ إلى والِدَةِ السَّيِّد ماكْفارْلين الَّتي كانَتْ في أشَدِّ حالاتِ الغَضَبِ وَالخَوْف ، وَقَدْ أخْبَرَتْني أنَّ أوْلْداكْر كانَ يُريدُ أنْ يَتَزَوَّجَها مُنْذُ سَنَواتٍ طَويلَةٍ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَرْضَ أنْ تَكونَ زَوْجَةً لَهُ بِسَبَبِ ما اكْتَشَفَتْهُ مِنْ أنَّهُ كانَ بالِغَ القَسْوَةِ عَلى بَعْضِ حَيَواناتِ يَقْتَنيها ، مِمَّا أثارَ غَضَبَهُ عَلَيْها

حَتّى إنَّهُ بَعَثَ إلَيْها — في يَوْمِ زِفافِها إلى زَوْجِها الحالِيِّ — بِنُسْخَةٍ مِنْ صورَةٍ فوتوغْرافِيَّةٍ لَها وَقَدْ مَزَّقَها قِطَعًا صَغيرَةً ، كَما بَعَثَ إلَيْها بِرِسالَةٍ قالَ فيها إنَّهُ يَكُنُّ لَها وَلِزَوْجِها الجَديدِ بُغْضًا وَكَراهِيَةً .

«إذا اكْتَشَفَ رِجالُ الشُّرْطَةِ هٰذِهِ المَعْلوماتِ فَسَوْفَ يَعْتَقِدونَ أنَّ لَدى السَّيِّد ماكْفارْلين الآنَ سَبَبًا آخَرَ يَحْمِلُهُ عَلى قَتْلِ أوْلْداكْر . وَلَمْ أكْتَشِفْ شَيْئًا آخَرَ في ثْلاك هِيث ، وَلِذٰلِكَ اتَّجَهْتُ إلى تُورْوُد .»

أطْلَعَني هُولمْز عَلى خَريطَةٍ رَسَمَها لِمَنْزِلِ أوْلْداكْر وَحَديقَتِهِ . كانَتِ الحَديقَةُ واسِعَةً ، وَكانَ المَكانُ الَّذي يَحْتَفِظُ فيهِ بِالأخْشابِ يَبْعُدُ كَثيرًا عَنْ

أَقْرَب شارِع . وَلَمْ يَكُنْ لِيسْتَرِيد هُناكَ حينَما زارَ هُولمْز المَنْزِل . وَلٰكِنَّ شُرْطِيًّا آخَرَ كانَ هُناكَ وَأَطْلَعَهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ .

اِسْتَمَرَّ هُولمْز في حَديثِهِ قائِلًا : « لَقَدْ وَجَدوا بَعْضَ قِطَعٍ مِنْ مَلابِسِ أُولْداكْر في البُقْعَةِ الَّتي شَبَّ فيها الحَريقُ . وَكانَ مِنْ رَأْيِ أَحَدِ الأَطِبَّاءِ أَنَّهُ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ يَكونَ رَجُلٌ أَوْ حَيوانٌ قَدِ احْتَرَقَ هُناكَ . وَقَدْ فَحَصْتُ كُلَّ شَيْءٍ بِعِنايَةٍ شَديدةٍ ، وَلٰكِنّي لَمْ أَجِدْ شَيْئًا جَديدًا . كانَ هُناكَ دَمٌ قَليلٌ في حُجْرَةِ النَّوْمِ . وَكانَتْ هُناكَ آثارُ أَقْدامِ رَجُلَيْنِ فَقَطْ فَوْقَ الأَرْضِ .

« لَقَدِ اكْتَشَفْتُ أَنَّ أُولْداكْر لَمْ يَكُنْ يُودِعُ في المَصْرِفِ مالًا كَثيرًا كَما زَعَمَ بَعْضُ النّاسِ ، وَلِهٰذا لا أَعْتَقِدُ أَنَّ قَتْلَهُ سَوْفَ يَجْعَلُ مِنْ ماكْفارْلين رَجُلًا ثَريًّا . »

« وَأَخيرًا تَحَدَّثْتُ إلى السَّيِّدةِ العَجوزِ خادِمةِ أُولْداكْر ، وَأَظُنّ أَنَّها تَعْلَمُ شَيْئًا ، لٰكِنَّها لَمْ تُطْلِعْني إلّا عَلى القَليلِ . أَخْبَرَتْني أَنَّها أَدْخَلَتِ السَّيِّدَ ماكْفارْلين المَنْزِلَ حَوالَى السّاعَةِ التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ ، وَتَظُنُّ أَنَّهُ تَرَكَ عَصاهُ في الرَّدْهَةِ . وَقَدْ ذَهَبَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ لِتَنامَ ، وَلَمْ تَسْتَيْقِظْ إلّا عَلى أَصْواتِ النّاسِ الَّذينَ هُرِعوا إلى المَنْزِلِ حينَما شاهَدوا الحَريقَ . »

« وَتَقولُ السَّيِّدةُ إنَّها تَظُنُّ أَنَّ قِطَعَ القُماشِ الَّتي عَثَروا عَلَيْها مِنَ الثِّيابِ عَيْنِها الَّتي يَرْتَديها السَّيِّدُ أُولْداكْر في تِلْكَ اللَّيْلَةِ . هٰذا كُلُّ ما أَخْبَرَتْني بِهِ ، وَلٰكِنّي واثِقٌ أَنَّها أَخْفَتْ عَنّي شَيْئًا ... لَدَيَّ إحْساسٌ بِذٰلِكَ . »

أَخْبَرَني هُولمْز أَنَّ السَّيِّدَ أُولْداكْر كانَ يُسَدِّدُ مَبالِغَ ماليَّةً إلى شَخْصٍ يُدْعى السَّيِّدَ كُورْنيلْياس . وَكانَ هٰذا هُوَ السَّبَبَ في أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ إلّا القَليلُ المُودَعُ في المَصْرِفِ ، وَقالَ هُولمْز إنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الاهْتِداءَ إلى شَخْصِيَّةِ كُورنيلْياس .

عِنْدَما انْتَهى هُولمْز مِنْ حَديثِهِ كانَتْ تَبْدو عَلى وَجْهِهِ الحَدِّيَّةُ الشَّديدةُ ، ثُمَّ قالَ : « أَخْشى أَنْ يَتَمَكَّنَ السَّيِّدُ لِيسْتَرِيد مِنْ أَنْ يُقَدِّمَ لِلْمِشْنَقَةِ السَّيِّدَ ماكْفارْلين . وَلَسْتُ أَدْري كَيْفَ أَسْتَطيعُ أَنْ أَحُولَ دُونَ ذٰلِكَ . »

بَعْدَ هٰذا ذَهَبْتُ إلى فِراشي لِأَنامَ ، وَلٰكِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّ هُولمْز لَمْ يَذُقْ طَعْمَ النَّوْمِ طَوالَ هٰذِهِ اللَّيْلَةِ .

الفَصْلُ الخامِسُ

حينَما اسْتَيْقَظْتُ في صَباحِ اليَوْمِ التّالي ، كانَ شيرْلوك هُولمْز يَقْرَأُ صُحُفَ الصَّباحِ ، وَكانَتْ هُناكَ رِسالَةٌ عَلى المِنْضَدةِ مِنْ نورْوُود ، جاءَ فيها ما يَلي :

« تَعالَ إلى نورْوُود عَلى عَجَلٍ ، فَقَدِ اكْتَشَفْتُ حَقيقَةً جَديدةً ، وَقَدْ تَأَكَّدَ لي الآنَ أَنَّ ماكْفارْلين هُوَ الَّذي قَتَلَ أُولْداكْر .

لِيسْتَرِيد »

قُلْتُ مُعَقِّبًا : « يَبْدو أَنَّ الأَمْرَ خَطيرٌ . »

قالَ هُولمْز : « آلواضِحُ أنَّ لِيسْتريد مُبْتَهِجٌ غايةَ آلِابْتِهاجِ ، فَهُوَ يَعْتَقِدُ أنَّهُ هَزَمني لِأوَّلِ مَرَّةٍ.يَجِبُ أنْ أذْهَبَ إلى نُورْوُود ، وَ أرْجو يا واطْسُن أنْ تَأْتِيَ مَعي ، فَإنّي في حاجةِ آلْيَوْمَ إلى صَديقٍ . »

عِنْدَما وَصَلْنا إلى مَنْزِلِ أُولْداكْر في نُورْوُود وَجَدْنا لِيسْتريد في آنتِظارِنا وَ قَدْ بَدا عَلى وَجْهِهِ آلبِشْرُ وَ آلرِّضا عَنِ آلنَّفْسِ ، وَ صاحَ حينَما رَآنا : « أهْلًا يا سَيِّدُ هُولمْز ، هَلْ تَوَصَّلْتَ إلى آلجاني ؟ »

أجابَهُ هُولمْز في هُدوءٍ : « لَمْ أجِدْ شَيْئًا بَعْدُ . »

قالَ لِيسْتريد : « أمّا أنا فَوَجَدْتُ . »

قالَ هُولمْز : « مِنَ آلواضِحِ أنَّكَ تَبْدو مُسْتَبْشِرًا راضِيًا عَنْ نَفْسِكَ . »

ضَحِكَ لِيسْتريد بِصَوْتٍ عالٍ وَ قالَ لي : « إنَّ شيرْلُوك هُولمْز – حَقيقةً – لا يُحِبُّ أنْ يَهْزِمَهُ أحَدٌ . أليْسَ كَذٰلِكَ يا دُكْتور واطْسُن ؟ »

لَمْ أرُدَّ عَلى مُلاحَظَتِهِ ، لٰكِنَّهُ آسْتَمَرَّ يَقولُ : « تَفَضَّلوا مَعي أيُّها آلسّادَةُ . » وَ قادَنا إلى آلرِّدْهةِ قائِلًا : « هٰذا هُوَ آلمَكانُ آلَّذي أعْتَقِدُ أنَّ ماكْفارْلين قَدِ آتَّجَهَ إلَيْهِ لِيَأْخُذَ قُبَّعَتَهُ بَعْدَ أنْ قَتَلَ أُولْداكْر . وَ آلآنَ ، آنْظُروا هُنا . » وَ أشارَ إلى عَلامةٍ عَلى آلجِدارِ . وَ كانَ واضِحًا أنَّها أثَرُ إصْبَعٍ ، وَ لَها لَوْنُ آلدَّمِ ، ثُمَّ قالَ : « هٰذا أثَرُ إصْبَعِ جون هِكْتور ماكْفارْلين . » ثُمَّ أبْرَزَ وَرَقَةً صَغيرةً عَلَيْها عَلامةٌ تُضاهي تَمامًا تِلْكَ آلَّتي عَلى آلجِدارِ . وَ قالَ :

« إنَّها بَصْمَةُ آلسَّيِّدِ ماكْفارْلين ، أُخِذَتْ لِإصْبَعِهِ في آلسِّجْنِ هٰذا آلصَّباحَ . » ثُمَّ عَقَّبَ قائِلًا في زَهْوٍ : « هٰذِهِ هِيَ نِهايةُ آلقَضِيَّةِ . »

قُلْتُ مُوافِقًا : « نَعَمْ ، إنَّها لَكَذٰلِكَ . »

نَظَرْتُ إلى هُولمْز فَأخَذَتْني آلدَّهْشَةُ ، إذْ كانَ يَبْدو سَعيدًا جِدًّا ، وَ قالَ : « نعمْ ، إنَّها لَكَذٰلِكَ . »

اسْتَمَرَّ لِيسْتريد في حَديثِهِ بِأُسْلوبٍ يَفيضُ بِالزَّهْوِ مُعْتَقِدًا أَنَّ هُولمْز قَدِ انْهَزَمَ . أَمَّا أَنا فَكُنْتُ أَرى أَنَّ هُولمْز في الحَقيقةِ يَسْخَرُ مِنْهُ .

قالَ هُولمْز : « حَسَنٌ جِدًّا ، يَجِبُ أَنْ يَكونَ هٰذا دَرْسًا لَنا جَميعًا ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ يا لِيسْتريد ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « نَعَمْ ، يَجِبُ أَنْ يَكونَ كَذٰلِكَ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « مَنِ الَّذي اكْتَشَفَ هٰذِهِ العَلامةَ ؟ »

أَجابَ : « خادِمةُ السَّيِّدِ أُولْداكر ... السَّيِّدةُ العَجوزُ . لَقَدْ وَجَدَتْها هٰذا الصَّباحَ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « أَمُتَأَكِّدٌ أَنْتَ أَنَّ هٰذِهِ العَلامةَ كانَتْ مَوْجودةً في مَكانِها بِالأَمْسِ ؟ » ظَنَّ لِيسْتريد أَنَّ صاحِبي أُصيبَ مَسٌّ مِنَ الجُنونِ ، أَمَّا أَنا فَلا بُدَّ أَنْ أَعْتَرِفَ بِأَنّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْهَمَ ماذا كانَ هُولمْز يَعْني بِهٰذا السُّؤالِ .

أَجابَ لِيسْتريد : « يا سَيِّدُ هُولمْز ، كَيْفَ تَتَوَقَّعُ أَنْ يَكونَ السَّيِّدُ ماكْفارْلين قَدِ اسْتَطاعَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ سِجْنِهِ وَيَأْتِيَ إِلى هُنا لِيُحْدِثَ هٰذِهِ العَلامةَ ؟ وَحَتّى لَوْ كانَ هٰذا مُمْكِنًا لَكانَ غَباءً مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ هٰذِهِ الفَعْلةَ . »

حينَئِذٍ قالَ هُولمْز : « حَسَنًا ، إِنَّهُ أَثَرُ إِصْبَعِهِ ، لا رَيْبَ في هٰذا . »

قالَ لِيسْتريد : « نَعَمْ ، لا رَيْبَ في هٰذا . وَالآنَ لا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ أَيُّها السَّادةُ . إِنَّني رَجُلٌ كَثيرُ المَشاغِلِ ، وَلا بُدَّ أَنْ أَكْتُبَ تَقْريري عَنْ هٰذِهِ القَضيَّةِ . »

تَرَكَنا لِيسْتريد وَمَضى مُسْرِعًا إِلى حُجْرةِ الجُلوسِ لِيَكْتُبَ تَقْريرَهُ . وَبَعْدَ ما أَغْلَقَ البابَ سَأَلَتْ هُولمْز : « لِماذا بَدَوْتَ مُبْتَهِجًا حينَما أَطْلَعَنا لِيسْتريد عَلى العَلامةِ ؟ » فَأَجابَ بِبَساطةٍ : « لِأَنّي أَعْلَمُ أَنَّها لَمْ تَكُنْ هُنا بِالأَمْسِ . لَقَدْ نَظَرْتُ إِلى الجِدارِ بِعِنايةٍ ، عَلى حينِ أَنَّ الشُّرْطةَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهِ بِمِثْلِ ما فَعَلْتُ . وَهٰذا هُوَ السَّبَبُ في أَنَّهُم لَيْسوا رِجالَ مَباحِثَ مُمْتازينَ . وَالآنَ هَيّا يا واطْسُن نَتَمَشّى قَليلًا في الحَديقةِ . »

سِرْتُ أَتْبَعُهُ في الحَديقةِ وَأَنا أُفَكِّرُ في الأَمْرِ . وَالحَقُّ أَنّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُعَلِّلَ كَيْفَ أَتَتْ هٰذِهِ العَلامةُ .

لَمْ يَبْدُ عَلى هُولمْز أَنَّهُ يُريدُ أَنْ يُخْبِرَني في الوَقْتِ الحاضِرِ ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ في كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الأَجْزاءِ الخارِجِيَّةِ لِلْمَنْزِلِ ، ثُمَّ عُدْنا إِلى الدّاخِلِ مَرَّةً أُخْرى ، فَأَخَذْنا نَفْحَصُ كُلَّ حُجْرةٍ مِنْ حُجُراتِهِ فَحْصًا دَقيقًا . بَلْ لَقَدْ فَحَصْنا كُلَّ صُوانٍ ، وَسِرْنا في كُلِّ مَمَرٍّ . وَبَيْنَما كُنّا نَخْتارُ آخِرَ مَمَرٍّ في أَعْلى المَنْزِلِ إِذا بِهُولمْز يَضْحَكُ فَجْأَةً ، وَيَقولُ : « إِنَّها لَقَضيَّةٌ مُثيرةٌ يا واطْسُن . إِنَّ لِيسْتريد يَظُنُّ أَنَّهُ هَرَمي . وَكانَ يَتَهَكَّمُ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنِ العَلامةِ الَّتي فَوْقَ الجِدارِ ، وَلٰكِنّي أَعْتَقِدُ أَنّي أَسْتَطيعُ الآنَ أَنْ أَتَهَكَّمَ بِدَوْري . ماذا سَأَفْعَلُ الآنَ ؟ أَجَلْ .. أَجَلْ .. »

نَزَلْنا إِلى الحُجْرةِ الَّتي كانَ لِيسْتريد يَشْتَغِلُ فيها ، وَسَأَلَهُ هُولمْز : « أَتَكْتُبُ تَقْريرَكَ يا سَيِّدُ لِيسْتريد ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « بِالطَّبْعِ . » وَبَدا صَوْتُهُ كَما لَوْ كانَ غاضِبًا مِنّا بِسَبَبِ

آقتحاما آلحُجْرةَ وَهُوَ مَشْغولٌ بِتَقْريرِهِ .

سَأَلَهُ هُولمْز : « أَلا تَظُنُّ أَنَّ إعدادَ آلتَّقْريرِ آلآنَ سابِقٌ لِأَوانِهِ ؟ »

هُنا وَضَعَ لِيسْتْريد قَلَمَهُ وَ تَطَلَّعَ إلى هُولمْز ، إذْ كانَ يَعْرِفُهُ حَقَّ آلمَعْرِفةِ ، وَ أَدْرَكَ أَنَّ في جَعْبَتِهِ شَيْئًا ذا أَهَمِّيَّةٍ ، وَ سَوْفَ يُخْبِرُهُ بِهِ ، فَسَأَلَهُ : « مادا تَعْني ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « حَسَنًا ، هُناكَ شَخْصٌ مُهِمٌّ في هٰذِهِ آلقَضِيَّةِ لَمْ تَتَحَدَّثْ إلَيْهِ . »

قالَ لِيسْتْريد في صَوْتٍ مُفْعَمٍ بِالدَّهْشةِ : « حَقًّا ؟ مَنْ هُوَ ؟ أَتَسْتَطيعُ أَنْ تَدُلَّني عَلى هٰذا آلشَّخْصِ ؟ »

قالَ هُولمْز : « نَعَمْ ... أَظُنُّ أَنَّني أَسْتَطيعُ ، وَلٰكِنّي في حاجةٍ إلى بَعْضِ آلعَوْنِ . كَمْ مِنْ رِجالِ آلشُّرْطةِ هُنا ؟ »

قالَ لِيسْتْريد : « ثَلاثةٌ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « أَهُمْ رِجالٌ أَشِدّاءُ ، ذَوُو أَصْواتٍ قَوِيَّةٍ مُرْتَفِعةٍ ؟ »

أَجابَ لِيسْتْريد : « نَعَمْ ، إنَّهُمْ كَذٰلِكَ ، وَلٰكِنّي لا أَرى كَيْفَ تَكونُ أَصْواتُهُمْ ذاتَ عَوْنٍ لَنا . »

قالَ هُولمْز : « سَوْفَ تَرى عاجِلًا ، وَ آلآنَ أَرْجو أَنْ تَطْلُبَ مِنْ أَحَدِهِمْ أَنْ يُحْضِرَ إلَيْنا بَعْضَ آلصُّحُفِ آلقَديمةِ ، هُناكَ كَمِّيَّةٌ كَبيرةٌ مِنْها في آلرَّدْهةِ ؛ أَمّا آلشُّرْطِيّانِ آلآخَرانِ فَلْيُحْضِرا بَعْضَ دِلاءٍ مَمْلوءةٍ بِالماءِ . »

أَحْضَرَ رِجالُ الشُّرْطةِ ما طُلِبَ مِنْهُمْ . وَصَعِدْنا جَميعًا إلى أعْلى المَبْنى ، وَ كانَ رِجالُ الشُّرْطةِ يَتَبَسَّمونَ ، أمّا لِيسْتريد فَكانَ لا يَزالُ يَعْتَقِدُ أنَّ هُولمْز يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ المَجانين . أمّا أنا فَلَمْ أكُنْ أعْرِفُ ماذا يُريدُ صَديقي هُولمْز أنْ يَفْعَلَ .

الفَصْلُ السّادِسُ

مَشى شِرْلوك هُولمْز إلى نِهايةِ الدِّهْليزِ كَما يَفْعَلُ المُمَثِّلونَ فَوْقَ المَسْرَح ، وَ وَضَعَ الصُّحُفَ عَلى الأرْضِ ثُمَّ قالَ لي : « واطْسُن ، أرْجو أنْ تَفْتَحَ النّافِذةَ ، ثُمَّ أشْعِلِ النّارَ في هٰذِهِ الصُّحُف . »

قُمْتُ بِتَنْفيذِ ما طُلِبَ ، وَ سَرْعانَ ما أخَذَتِ الصُّحُفُ في الِاحْتِراق . وَ قالَ هُولمْز : « وَ الآنَ أُريدُ مِنْكُمْ جَميعًا أنْ تَصيحوا مَعي بِأعْلى صَوْتٍ : « حَريق ! حَريق ! » واحِد ... اثْنان ... ثَلاثة ... »

صِحْنا جَميعًا : « حَريق ! » صَرَخَ هُولمْز مَرَّةً ثانِيةً : « حَريق ! » فَرَدَّدْنا بِصَوْتٍ عالٍ : « حَريق ! »

فَجْأةً رَأيْنا الجِدارَ في نِهايةِ الدِّهْليزِ يَنْفَتِحُ كَما يَنْفَتِحُ البابُ تَمامًا . وإذا بِرَجُلٍ قَصيرِ القامةِ قَبيحِ الوَجْهِ يَخْرُجُ مِنْهُ وَ هُوَ يَعْدو مِثْلَ أرْنَبٍ مَذْعورٍ يَنْطَلِقُ مِنْ جُحْرِهِ .

قالَ هُولمْز : « حَسَنٌ جِدًّا . صُبَّ بَعْضَ الماءِ عَلى النّارِ يا واطْسُن . » ثُمَّ خاطَبَ لِيسْتريد قائِلًا : « هٰذا هُوَ السَّيِّدُ جُوناس أُولْداكْر . »

في البِدايةِ لَمْ يَسْتَطِعْ لِيسْتريد أنْ يُصَدِّقَ ما رآهُ ، ثُمَّ قالَ مُخاطِبًا أُولْداكْر : « أيْنَ كُنْتَ في اليَوْمَيْنِ السّابِقَيْن ؟ »

ضَحِكَ أُولْداكْر ، وَ لٰكِنْ كانَ مِنَ الواضِحِ أنَّهُ خائِفٌ مِنْ لِيسْتريد ، ثُمَّ قالَ : « إنّي لَمْ أضُرَّ أحَدًا . »

أجابَ لِيسْتريد غاضِبًا : « أنْتَ لَمْ تَضُرَّ أحَدًا ؟! إنَّ السَّيِّدَ ماكْفارْلين في السِّجْنِ بِسَبَبِكَ . لَقَدْ ظَنَنّا أنَّهُ قَتَلَكَ ، وَ كانَ عُرْضةً لِلشَّنْق . »

قالَ أُولْداكْر : « لَقَدْ فَعَلْتُ ما فَعَلْتُ عَلى سَبيلِ الدُّعابةِ فَحَسْب . »

قالَ لِيسْتريد : « أمّا الآنَ فَلا سَبيلَ لَكَ إلى مَزيدٍ مِنَ الدُّعابةِ . »

طَلَبَ لِيسْتريد مِنْ رِجالِ الشُّرْطةِ أنْ يَأْخُذوهُ ، وَبَعْدَ أنْ ذَهَبوا قالَ : « أرى لِزامًا عَلَيَّ أنْ أشْكُرَكَ يا سَيِّدُ هُولمْز . لَقَدْ كُنْتُ غَيْرَ مُهَذَّبٍ مَعَكَ صَباحَ اليَوْمِ فَأنا آسِفٌ ... ، كُنْتُ أعْتَقِدُ أنَّ القَضِيَّةَ انْتَهَتْ ، وَلَوْ شُنِقَ السَّيِّدُ ماكْفارْلين بِسَبَبِ جَريمةٍ لَمْ يَرْتَكِبْها لَكانَ الأمْرُ مُؤْسِفًا حَقًّا . »

قالَ هُولمْز بِرِفْق : « لا تَقْلَقْ ، فَلَنْ يَعْرِفَ أحَدٌ ما حَدَثَ . إنَّكَ تَسْتَطيعُ أنْ تُغَيِّرَ تَقْريرَكَ . وَلَيْسَ مِنَ الضَّروريِّ أنْ تَذْكُرَ فيهِ أنَّني قَدَّمْتُ أيَّةَ مُعاوَنة . »

سَأَلَهُ لِيسْتريد : « وَلٰكِنْ ، ألا تُحِبُّ أنْ تَعْرِفَ النّاسُ كَمْ كُنْتَ حاذِقًا ؟ »

أجابَ هُولمْز : « كَلّا ، لا رَغْبَةَ لي في ذٰلِكَ . إنَّني سَعيدٌ بِما أقومُ بِهِ مِنْ

عَمَل ، وَهٰذا يَكْفيني . وَالآنَ دَعْنا نَرى أَيْنَ كانَ هٰذا ٱلفارُ مُقيمًا :

« حُوِّلَتْ نِهايةُ ٱلدِّهْليزِ إلى حُجْرةٍ صَغيرةٍ فيها قَليلٌ مِنَ ٱلأَثاثِ ، وَكانَ فَوْقَ ٱلمِنْضَدةِ بَعْضُ ٱلطَّعامِ وَٱلماءِ ، وَكَذٰلِكَ بَعْضُ ٱلأَوْراقِ . فإذا أُغْلِقَ بابُها صارَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ أَنْ تَرى أَنَّ هُناكَ حُجْرةً ما . »

« لَقَدْ كانَ أُولْداكْر بَنّاءً ، وَمِنْ ثَمَّ ٱسْتَطاعَ أَنْ يُهَيِّئَ بِسُهولةٍ هٰذا ٱلمَكانَ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ في حاجةٍ إلى ٱلإِسْتِعانةِ بِأَحَدٍ في هٰذِهِ ٱلخُطَّةِ ، فيما عَدا خادِمَتَهُ . »

سَأَلَ لِيسْتريد : « وَكَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهُ كانَ هُنا ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « لَقَدْ فَكَّرْتُ في أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ مُخْتَبِئًا في مَكانٍ بِالمَنْزِلِ ، وَلاحَظْتُ أَنَّ هٰذا ٱلدِّهْليزَ أَقْصَرُ مِنْ نَظيرِهِ في ٱلطّابَقِ ٱلَّذي تَحْتَهُ . وَمِنْ هُنا ٱتَّضَحَ لي أَيْنَ كانَ يَخْتَبِئُ . »

قالَ لِيسْتريد : « لَقَدْ كانَ هٰذا عَمَلًا ذَكِيًّا ، وَلٰكِنْ ما ٱلَّذي جَعَلَكَ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ في ٱلمَنْزِلِ ؟ »

قالَ هُولمْز : « أَثَرُ ٱلإِصْبَعِ . لَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلعَلامةَ لَمْ تَكُنْ عَلى ٱلجِدارِ بِالأَمْسِ لِأَنَّني سَبَقَ أَنْ فَحَصْتُهُ ، وَبِهٰذا أَدْرَكْتُ أَنَّها لا بُدَّ أَنْ تَكونَ قَدْ وُضِعَتْ ٱللَّيْلَةَ ٱلماضِيةَ . »

قالَ لِيسْتريد : « وَلٰكِنَّ ماكْفارْلين كانَ في ٱلسِّجْنِ ، فَكَيْفَ وُضِعَتْ ؟ »

قالَ هُولمْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تُلاحِظُ أَنَّ أُولْداكْر وَماكْفارْلين ، عِنْدَما كانا يَشْتَعِلانِ في ٱلأَوْراقِ ، ٱسْتَخْدَما كَمِّيَّةً مِنَ ٱلشَّمْعِ ٱلأَحْمَرِ لِإِغْلاقِ ٱلظُّروفِ . وَأَظُنُّ أَنَّ أُولْداكْر طَلَبَ مِنْ ماكْفارْلين أَنْ يَضَعَ إِصْبَعَهُ عَلى ٱلشَّمْعِ بِحُجَّةِ ٱلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ ٱلظَّرْفَ قَدْ أُحْكِمَ إِغْلاقُهُ ، مِمَّا جَعَلَ بَصْمةَ ماكْفارْلين واضِحةً عَلى ٱلشَّمْعِ ، وَفيما بَعْدُ ، ٱسْتَخْدَمَ أُولْداكْر مَزيدًا مِنَ ٱلشَّمْعِ لِكَيْ يَنْقُلَ بَصْمةَ ماكْفارْلين إلى ٱلجِدارِ . وَمِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنَّهُ ٱسْتَخْدَمَ قَليلًا مِنَ ٱلدَّمِ مِنْ إِصْبَعِهِ هُوَ . »

قالَ لِيسْتريد : « رائِعٌ ! رائِعٌ ! وَلٰكِنْ لِمادا فَعَلَ كُلَّ ذٰلِكَ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

وَشَعَرْتُ أَنّي أُريدُ أَنْ أَضْحَكَ حينَما رَأَيْتُ ضابِطَ ٱلمَباحِثِ هٰذا – وَهُوَ ٱلَّذي كانَ مَزْهُوًّا فَخورًا بِنَفْسِهِ هٰذا ٱلصَّباحَ – يُوَجِّهُ أَسْئِلَةً كَما يَفْعَلُ طِفْلٌ يَتَحَدَّثُ إلى مُعَلِّمِهِ .

أَجابَهُ شيرْلوك هُولمْز : « هٰذا أَمْرٌ لا يَبْدو صَعْبًا . إِنَّ أُولْداكْر يَحْقِدُ عَلى أُمِّ ماكْفارْلين لِأَنَّها سَبَقَ أَنْ رَفَضَتِ ٱلزَّواجَ بِهِ . إِنَّكَ لَسْتَ عَلى عِلْمٍ بِهٰذا ٱلأَمْرِ يا لِيسْتريد ، لِأَنَّكَ لَمْ تَقُمْ بِزِيارةٍ لِبْلاك هيت قَطُّ . إِنَّ أُولْداكْر رَجُلٌ خَبيثٌ وَماكِرٌ ، وَلَقَدِ ٱنْتَظَرَ سَنَواتٍ طَويلةً حَتّى تَسْنَحَ لَهُ ٱلفُرْصةُ لِيَتَجَسَّسَ عَلَى ٱلسَّيِّدةِ ماكْفارْلين . لَقَدْ خَطَّطَ لِكَيْ يَشُقَّ أَسْماعَها وَيَحْصُلَ هُوَ – في نَفْسِ ٱلوَقْتِ – عَلى بَعْضِ ٱلمالِ . »

سَأَلَ لِيسْتريد : « يَحْصُلُ عَلى بَعْضِ ٱلمالِ ! كَيْفَ ؟ »

قالَ هُولمز «لَقَدْ كَشَفَتِ ٱلأَوْراقُ ٱلَّتي فَحَصْناها أَنَّ أُولْداكر يُواجِهُ أَزماتٍ ماليَّةً ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَخْتَفِيَ تَهَرُّبًا مِنْ دائِنِيهِ . لَقَدْ سَدَّدَ قَدْرًا كَبيرًا مِنَ ٱلمالِ إِلى ذٰلِكَ ٱلَّذي يُدْعى كُورْنيلْياس ، وَأَنا لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ شَخْصًا يَحْمِلُ هٰذا ٱلِاسْمَ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ أُولْداكر كانَ يَعْتَزِمُ أَنْ يُغَيِّرَ ٱسْمَهُ إِلى كُورْنيلْياس بَعْدَ أَنْ يَخْتَفِيَ .

«إِنَّ مَوْضوعَ ٱلوَصِيَّةِ كانَ يُقْصَدُ بِهِ إِيجادُ دافِعٍ يُبَرِّرُ ٱتِّهامَ ٱلسَّيِّدِ ماكْفارْلين بِقَتْلِهِ ، أَمَّا ٱلحَريقُ فَقَدْ قُصِدَ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَتْ هُناكَ حاجَةٌ إِلى ٱلعُثورِ عَلى جُثَّةِ ٱلقَتيلِ . وَكانَ يَفْتَرِضُ – بَعْدَ مُضِيِّ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلزَّمَنِ – أَنَّ ٱلنَّاسَ سَوْفَ يَسْتَوْنَ جُوناس أُولْداكر . أَمَّا كُورْنيلْياس فَسَوْفَ يُقيمُ ، بِالطَّبْعِ ، في جُزْءٍ آخَرَ مِن إِنْجِلْترا ، أَوْ بَلَدٍ آخَرَ . الواقِعُ أَنَّها خُطَّةٌ ذَكِيَّةٌ ٱبْتَكَرَها داهِيَةٌ خَبيثٌ . أَمَّا ٱلآنَ يا سَيِّدُ لِيسْتْريد ، فَدَعْنا نَذْهَبْ لِنُوَجِّهَ إِلَيْهِ سُؤالًا أَوْ سُؤالَيْنِ .»

هَبَطْنا إِلى ٱلحُجْرَةِ ٱلَّتي كانَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ يَحْتَجِزونَ فيها جُوناس أُولْداكر . وَعِنْدَما رَأَيْنا رَدَّدَ ما قالَهُ مِنْ قَبْلُ : «إِنَّما فَعَلْتُ ما فَعَلْتُ عَلى سَبيلِ ٱلدُّعابَةِ فَحَسْبُ . إِنَّني لَمْ أُرِدِ ٱلإِضْرارَ بِالسَّيِّدِ ماكْفارْلين .»

قالَ لِيسْتْريد : «أَوَ تَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَ هٰذا ؟ أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلسِّجْنَ مَصيرُكَ يا سَيِّدُ أُولْداكر .»

أَضافَ هُولمز : «وَأَنا أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلشُّرْطَةَ سَوْفَ تَسْتَوْلي عَلى جَميعِ أَمْوالِ ٱلسَّيِّدِ كُورْنيلْياس أَيْضًا .»

تَطَلَّعَ أُولْداكر إِلى هُولمز وَقالَ في صَوْتٍ شَديدِ ٱلغَضَبِ : «سَوْفَ أَقْتُلُكَ يا شِرْلوك هُولمز .»

إِبْتَسَمَ هُولمز وَقالَ : «إِنَّكَ لَسْتَ أَوَّلَ رَجُلٍ يَقولُ لي ذٰلِكَ . وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تَكونُ مَشْغولًا جِدًّا في ٱلسِّجْنِ ، بِحَيْثُ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ في ٱلسَّنَواتِ ٱلقَليلَةِ ٱلقادِمَةِ . وَقَبْلَ أَنْ تَذْهَبَ ، لَدَيَّ سُؤالٌ أُريدُ أَنْ أُوَجِّهَهُ إِلَيْكَ :

«ما ٱلَّذي أَحْرَقْتَهُ مَعَ ٱلأَخْشابِ لِتَجْعَلَ طَبيبَ ٱلشُّرْطَةِ يَظُنُّ أَنَّ جِسْمًا آدَمِيًّا هُوَ ٱلَّذي أُحْرِقَ ؟ أَكانَ كَلْبًا مَيِّتًا ؟ أَمْ لَعَلَّها بَعْضُ ٱلأَرانِبِ ؟»

لَمْ يُجِبْ أُولْداكر عَنِ ٱلسُّؤالِ ، وَإِنَّما جَلَسَ صامِتًا وَٱلغَضَبُ يَبْدو عَلى وَجْهِهِ . أَمَّا هُولمز فَقَدْ صَحِكَ وَقالَ مُخاطِبًا واطْسُن :

«إِنَّهُ لا يَرْعَبُ في ٱلإِجابَةِ يا واطْسُن . عَلى كُلِّ حالٍ ، لَيْسَ ٱلأَمْرُ بِذي بالٍ . وَلٰكِنْ إِذا أَرَدْتَ يَوْمًا أَنْ تَكْتُبَ قِصَّةَ بَنّاءِ نُورْوُود ٱلمُخْتَفي ، فَإِنَّكَ تَسْتَطيعُ أَنْ تَقولَ إِنَّها كانَتْ أَرانِبَ .»

سِرُّ التَّماثِيلِ السِّتَّةِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

كانَ السَّيِّدُ لِيسْتريد ، أَحَدُ رِحالِ سْكُوتْلانْديارْد – إدارةُ المَباحِثِ في شُرْطةِ لَنْدَن – كَثيرًا ما يَزورُ صَديقي شِرْلُوك هُولمْز وَأَنا مَعَهُ . وَكانَتْ زِيارَتُهُ عادةً في المَساءِ . وَكانَ هُولمْز يَسْتَمْتِعُ بِحَديثِهِ مَعَ لِيسْتريد ؛ إِذْ كانَ هٰذا الحَديثُ يُزَوِّدُهُ بِمَعْلوماتٍ مُفيدةٍ عَمَّا يَقَعُ مِنْ أَحْداثٍ في أَهَمِّ مَرْكَزٍ لِلمَباحِثِ في لَنْدَن .

كانَ لِيسْتريد يُحِبُّ هٰذِهِ الزِّياراتِ كَذٰلِكَ ؛ إِذْ كانَ يَجِدُ في هُولمْز رَجُلَ مَباحِثَ مُمْتازًا ، يُصْغي بِاهْتِمامٍ إِلى لِيسْتريد حِينَما تَكونُ لَدَيْهِ قَضِيَّةٌ عَويصةٌ ، وَكَثيرًا ما تَمَكَّنَ هُولمْز مِنْ تَقْديمِ العَوْنِ لَهُ .

في إِحْدى هٰذِهِ الزِّياراتِ المَسائِيَّةِ ظَلَّ لِيسْتريد يَتَحَدَّثُ فَتْرَةً طَويلةً عَنِ الطَّقْسِ ، وَعَنْ مَسائِلَ أُخْرى لَيْسَتْ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنِ الحَديثِ فَجْأَةً . وَجَلَسَ صامِتًا وَقَدِ اسْتَغْرَقَ في تَفْكيرٍ عَميقٍ . وَلَقَدْ أَثارَ صَمْتُهُ وَتَفْكيرُهُ اهْتِمامَ هُولمْز ؛ فَسَأَلَهُ : « أَلَدَيْكَ اليَوْمَ قَضِيَّةٌ مُهِمَّةٌ أَعاوِنُكَ فيها ؟ »

أَجابَ رَجُلُ المَباحِثِ : « حَسَنًا يا سَيِّدُ هُولمْز ؛ هُناكَ مَسْأَلَةٌ ، وَلٰكِنْ يَبْدو أَنَّها لَيْسَتْ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٍ ، وَلا أُريدُ أَنْ أُشْغِلَكَ بِها . إِنَّني أَعْلَمُ أَنَّكَ

شَغوفٌ بِالمَسائِلِ الصَّعْبَةِ ، وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ تَهُمُّ الدُّكْتور واطْسُن أَكْثَرَ مِمَّا تَهُمُّكَ أَنْتَ . »

اعْتَرَتْني الدَّهْشَةُ حينَما قالَ لِيسْتريد ذٰلِكَ . فَأَنا طَبيبٌ وَلَسْتُ رَجُلَ مَباحِثَ ، وَلِذٰلِكَ سَأَلْتُ : « ما الأَمْرُ ؟ أَهُناكَ مَريضٌ ؟ »

كانَ جَوابُ لِيسْتريد : « نَعَمْ ، أَظُنُّ ذٰلِكَ .. أَظُنُّ أَنَّ هُناكَ شَخْصًا مَريضًا جِدًّا ، بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا الشَّخْصَ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ مَجْنونًا . »

ثُمَّ مَضى يَرْوي لَنا قِصَّةَ شَخْصٍ دَأَبَ عَلى الاسْتيلاءِ على تَماثيلَ نِصْفِيَّةٍ مِنَ الجِصِّ لِنابُلْيون بوناپَرْت . يَسْتَوْلي عَلَيْها ، ثُمَّ يُهَشِّمُها بَعْدَ ذٰلِكَ . وَاسْتَمَرَّ لِيسْتريد في حَديثِهِ فَقالَ :

« مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ذَهَبَ هٰذا الشَّخْصُ إِلى مَتْجَرٍ في شارِعِ كِيسِّغْتون يَمْلِكُهُ مُورْس هَدْسون يَبيعُ فيهِ الأَعْمالَ الفَنِّيَّةَ كَالرُّسومِ وَغَيْرِها . وَانْتَهَزَ هٰذا الشَّخْصُ فُرْصَةَ انْشِغالِ صاحِبِ المَتْجَرِ وَأَخَذَ تِمْثالًا نِصْفِيًّا لِنابُلْيون وَهَشَّمَهُ ، ثُمَّ فَرَّ هارِبًا .. لا بُدَّ أَنَّهُ يَبْغُضُ نابُلْيون بُغْضًا شَديدًا . »

تَساءَلَ هُولمْز : « تُرى ، ما سِرُّ اهْتِمامِكَ الشَّديدِ بِهٰذا المَوْضوعِ ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « لِأَنَّهُ كَرَّرَ فِعْلَتَهُ مَرَّةً أُخْرى . فَبِالأَمْسِ اقْتَحَمَ مَنْزِلَ أَحَدِ الأَطِبَّاءِ – دُكْتور بارْنيكُوت – وَهُوَ مِنَ الَّذينَ يُكِنُّونَ إِعْجابًا شَديدًا لِنابُلْيون . وَكانَ الطَّبيبُ قَدِ اشْتَرى تِمْثالَيْنِ نِصْفِيَّيْنِ مِنْ مَتْجَرِ مُورْس هَدْسون . فَاحْتَفَظَ بِواحِدٍ مِنْهُما في مَنْزِلِهِ ، وَوَضَعَ الآخَرَ في العِيادَةِ الَّتي

يَعْمَلُ بِها قَريبًا مِنْ وَسَطِ لَنْدَن . وَ هٰكَذا سَطا ٱللِّصُّ عَلى ٱلمَنْزِلِ وَ ٱستَوْلى عَلى ٱلتِّمْثالِ ، وَ هَشَّمَهُ عَلى سُورِ ٱلحَديقَةِ . وَ قَدِ ٱكتَشَفَ الدُّكْتور بازْيلكُوت تِمثالَهُ ٱلمُهَشَّمَ حينما ٱستَيْقَظَ في ٱلصَّباحِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ إلى ٱلعِيادَةِ حَوالَى ٱلسّاعَةِ ٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ ظُهْرًا فُوجِئَ بِالتِّمْثالِ ٱلآخَرِ مُهَشَّمًا كَذٰلِكَ . »

قالَ هُولمْز : « إنَّهُ لَأَمْرٌ مُثيرٌ حَقًّا ! هَلْ هَشَّمَ ٱللِّصُّ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ ، أَوِ ٱستَوْلى عَلى شَيْءٍ ؟ »

« لا ، لَمْ يَفْعَلْ . »

« وَ هَلْ كانَتِ ٱلتَّماثيلُ ٱلثَّلاثَةُ مُتَشابِهَةً تَمامًا ؟ »

« أَجَلْ . »

قالَ هُولمْز : « رُبَّما كانَ ٱللِّصُّ مُهْتَمًّا بِهٰذِهِ التَّماثيلِ ، وَ لَيْسَ بِنابُلْيُون ذاتِهِ . »

قالَ لِيسْتريد : « هٰذا مُحْتَمَلٌ ، وَ لٰكِنْ أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ ٱلكَثيرَ مِنْ تَماثيلِ نابُلْيون في هٰذِهِ ٱلمِنْطَقَةِ مِنْ لَنْدَن ، وَ لِذٰلِكَ فَلَنْ نَسْتَطيعَ ٱلتَّأَكُّدَ مِنْ هٰذا ٱلأَمْرِ . »

ٱلتَفَتُّ إلى ٱلسَّيِّدِ لِيسْتريد مُتَسائِلًا : « ما رَأْيُكَ أَنْتَ في كُلِّ ذٰلِكَ ؟ »

كانَ جَوابُهُ : « لَسْتُ أَدْري يا دُكْتور واطسن ! لَسْتُ أَدْري ! »

الفَصْلُ الثّاني

في صَبيحَةِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي كُنْتُ أَرْتَدي مَلابِسي حينَما دَخَلَ هُولمْز غُرْفَتي وَ قالَ : « لِيسْتريد يُريدُ أَنْ يَرانا حالًا . إنَّهُ يَنْتَظِرُنا في مَنْزِلٍ بِشارِعِ كِينْسِينْغتون . »

إرْتَدَيْتُ مَلابِسي عَلى عَجَلٍ ، وَ تَناوَلْنا بَعْضَ ٱلقَهْوَةِ ، وَ سارَعْنا إلى كِينْسِينْغتون .

كانَ ٱلمَنْزِلُ يَقَعُ في شارِعٍ هادِئٍ ، وَ لٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَبْعُدُ كَثيرًا عَنْ وَسَطِ مَدينَةِ لَنْدَن ٱلمُزْدَحِمِ . وَ في ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ كانَ هُناكَ جَمْعٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلنّاسِ يَقِفونَ بِالخارِجِ . وَ قالَ هُولمْز : « يَبْدو كَما لَوْ أَنَّ أَمْرًا سَيِّئًا قَدْ حَدَثَ هُنا . »

كانَ لِيسْتريد في ٱنتِظارِنا . وَ كانَتْ تَبْدُو عَلَيْهِ مَظاهِرُ ٱلجِدِّيَّةِ البالِغَةِ ، وَ ٱستَرْعى نَظَري أَنَّ دِماءً كَثيرَةً تُلَطِّخُ ٱلأَرْضَ عَلى مَقْرَبَةٍ مِنَ البابِ ٱلأَماميِّ لِلْمَنْزِلِ . وَ دَعانا لِيسْتريد إلى ٱلدُّخولِ حَيْثُ ٱلتَقَيْنا الرَّجُلَ ٱلَّذي يَسْكُنُهُ وَ ٱسْمُهُ هُوارس هارْكَر ، وَ هُوَ يَعْمَلُ بِالصَّحافَةِ ؛ لٰكِنَّهُ في هٰذا ٱليَوْمِ بَدا بالِغَ ٱلاِضْطِرابِ حَتّى إنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكْتُبَ لِصَحيفَتِهِ عَمَّا حَدَثَ .

وَجَّهَ لِيسْتريد إلَيْهِ ٱلخِطابَ قائِلًا : « أَرْجو أَنْ تُخْبِرَنا بِكُلِّ ما تَعْرِفُ يا سَيِّدُ هارْكَر . »

شَرَعَ ٱلسَّيِّدُ هارْكَر يَتَحَدَّثُ بِصَوْتٍ يَشوبُهُ ٱلفَزَعُ فَقالَ : « مُنْذُ أَرْبَعَةِ

أَشْهُرٍ آشْتَرَيْتُ تِمثالًا نِصْفِيًّا لِنابُلْيون مِنْ مَتْجَرِ ٱلإِخْوةِ هارْدِنغ في هاي ستريت . وَ لَيْلة أَمْسِ أَفَقْتُ مِنْ نَوْمي عَلى صَيْحةٍ مُدَوِّيةٍ شَقَّتْ سُكونَ ٱللَّيْلِ حَوالى ٱلسّاعةِ ٱلثّالِثةِ صَباحًا . وَ مَعَ أَنّي كُنْتُ خائفًا ، فَقَدْ نَزَلْتُ لِأَرى هَلْ هُناكَ أَحَدٌ . وَ لَمْ أَجِدْ أَحَدًا في ٱلغُرْفةِ ، وَ لٰكِنّي ٱكْتَشَفْتُ أَنَّ تِمْثالَ نابُلْيون قَدِ ٱخْتَفى ، و سارَعْتُ لِأَسْتَدْعِيَ شُرْطِيًّا . وَ ما كِدْتُ أَفْتَحُ ٱلبابَ حَتّى وَجَدْتُ خُثَّةَ رَجُلٍ مَيِّتٍ ، وَ كانَتْ مُلَطَّخةً بِالدِّماءِ حَتّى لَقَدْ أَحْسَسْتُ بِالغَثَيانِ لِمَرْآها . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « مَنْ هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلمَيِّتُ ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « لا نَعْرِفُ . كُلّ ما كانَ بِحَوْزَتِهِ خَريطةٌ رَخيصةٌ لِمَدينةِ لَنْدَن ، وَ صورةٌ فوتوغْرافِيَّةٌ لِرَجُلٍ قَبيحِ ٱلوَجْهِ ... غايةِ ٱلقُبْحِ ، وَ كانَ بِحَوْزَتِهِ سِكّينٌ صَغيرٌ . لٰكِنّي لا أَعْرِفُ هَلِ ٱسْتُخْدِمَ هٰذا ٱلسِّكّينُ في قَتْلِهِ أَمْ لا ؟ »

سَأَلَ هُولمْز : « وَ مادا عَنْ تِمْثالِ نابُلْيون ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « وَجَدْناهُ عَلى مَقْرَبةٍ مِنْ هُنا في حَديقةِ مَنْزِلٍ مَهْجورٍ ، و كانَ مُهَشَّمًا ... تَمامًا كَما حَدَثَ لِلتَّماثيلِ ٱلأُخْرى . »

إِتَّجَهَا ثلاثتُنا أَنا وَ هُولمْز وَ لِيسْتريد – لِكَيْ نُلْقِيَ نَظْرةً عَلى ٱلتِّمْثالِ ٱلمُهَشَّمِ . أَمّا ٱلسَّيِّدُ هارْكَر فَقَدْ بَقِيَ في ٱلمَنْزِلِ لِكَيْ يَكْتُبَ شَيْئًا عَنِ ٱلحادِثِ لِصَحيفَتِهِ ؛ إِذْ إِنَّ حالَتَهُ قَدْ تَحَسَّنَتِ ٱلآنَ نَعْصَ ٱلشَّيْءِ ، وَ لَسَوْفَ تَكونُ ٱلقِصَّةُ ٱلَّتي يَكْتُبُها مُثيرةً لا شَكَّ .

الفَصْلُ ٱلثّالِثُ

وَصَلْنا إِلى ٱلمَنْزِلِ ٱلمَهْجورِ سَريعًا ، وَ كانَتْ قِطَعُ ٱلتِّمْثالِ مُتَناثِرةً عَلى ٱلعُشْبِ بِجوارِ جِدارِ ٱلحديقةِ . وَ ٱلْتَقَطَ هُولمْز بَعْضَ ٱلقِطَعِ وَ أَخَذَ يَفْحَصُها بِعِنايةٍ .

قالَ لِيسْتريد مُتَسائلًا : « ما رَأْيُكَ ؟ »

نَظَرَ إِلَيْهِ هُولمْز قائلًا : « هُناكَ ٱلكَثيرُ عَلَيْنا أَنْ نَقومَ بِهِ ، لٰكِنْ أَمامَنا ٱلآنَ بَعْضُ أَسْئِلَةٍ هامَّةٍ لا بُدَّ أَنْ نُفَكِّرَ في إِجاباتٍ لَها . فَمَثَلًا : كَيْفَ يُغامِرُ رَجُلٌ بِقَتْلِ آخَرَ في سَبيلِ ٱلحُصولِ عَلى تِمثالٍ رَخيصٍ كَهٰذا ٱلتِّمْثالِ ؟ وَ أَمْرٌ آخَرُ : إِذا كانَ هَدَفُهُ تَحْطيمَ ٱلتِّمْثالِ فَحَسْبُ ، فَلِماذا لَمْ يُحَطِّمْهُ داخِلَ مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ؟ لِماذا يَأْخُذُهُ بَعيدًا ؟ »

عَقَّبَ لِيسْتريد قائلًا : « لَعَلَّهُ حَمَلَهُ بَعيدًا لِأَنَّهُ كانَ يَخْشى أَنْ يُفاجِئَهُ ٱلسَّيِّدُ هارْكَر . »

قالَ هُولمْز : « رُبَّما يَكونُ هٰذا هُوَ ٱلسَّبَبَ ، وَ لٰكِنْ لِماذا أَتى بِهِ إِلى هٰذا ٱلمَنْزِلِ بِالذّاتِ وَ لَيْسَ إِلى أَيِّ مَنْزِلٍ آخَرَ ؟ »

رَدَّ لِيسْتريد : « لِأَنَّ هٰذا ٱلمَنْزِلَ مَهْجورٌ . »

قالَ هُولمْز : « لٰكِنَّ هُناكَ مَنْزِلًا آخَرَ مَهْجورًا في الشّارِعِ نَفْسِهِ ، وَ هُوَ أَقْرَبُ إِلى مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ، فَلِماذا لَمْ يُحَطِّمْهُ هُناكَ ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « حَقًّا ، لَسْتُ أَدْري . »

أَشارَ هُولمْز إِلى أَنْوارِ ٱلشّارِعِ ٱلَّتي فَوْقَ رُؤوسِنا وَ قالَ : « السَّبَبُ هُوَ أَنَّهُ كانَ يَسْتَطيعُ هُنا أَنْ يَرى ما هُوَ فاعِلٌ ، أَمّا حَديقَةُ ٱلمَنْزِلِ ٱلآخَرِ فَمُظْلِمَةٌ . »

صاحَ رَجُلُ ٱلمَباحِثِ : « يا لَلسَّماءِ ! هٰذا صَحيحٌ ! ثُمَّ تَساءَلَ : « وَ لٰكِنْ كَيْفَ يُساعِدُنا ذٰلِكَ في ٱلقَضِيَّةِ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

أَجابَ صَديقي هُولمْز : « حَتّى ٱلآنَ لا أَدْري ، وَ لٰكِنَّني سَوْفَ أَظَلُّ أَذْكُرُ ٱلمَوْضوعَ . تُرى ماذا سَتَفْعَلُ بَعْدَ هٰذا يا سَيِّدُ لِيسْتريد ؟ »

قالَ لِيسْتريد : « أُريدُ أَنْ أَهْتَدِيَ أَوَّلًا إِلى شَخْصِيَّةِ ٱلقَتيلِ . وَ مِنْ ثَمَّ أَسْتَطيعُ أَنْ أَعْرِفَ سَبَبَ وُجودِهِ في كينْسِنْغتون في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ ، وَ مَنِ ٱلَّذي ٱلتَقى بِهِ وَ قَتَلَهُ خارِجَ مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر . أَلَسْتَ تَرى أَنَّ هٰذِهِ فِكْرَةٌ سَديدَةٌ ؟ »

أَجابَ هولمْز : « سَوْفَ أَتَصَرَّفُ عَلى طَريقَتي ، وَ تَسْتَطيعُ أَنْتَ أَنْ تَتَصَرَّفَ عَلى طَريقَتِكَ ، ثُمَّ نَلْتَقي لِنَتَحَدَّثَ عَنِ ٱلقَضِيَّةِ فيما بَعْدُ . »

قالَ لِيسْتريد : « هُوَ كَذٰلِكَ . »

ثُمَّ تَوَجَّهَ شيرْلوك هُولمْز إِلى لِيسْتريد بِعِبارَةٍ غَريبَةٍ ؛ إِذْ قالَ لَهُ : « إِذا رَأَيْتَ ٱلسَّيِّدَ هارْكَر فَأَرْجو أَنْ تُبْلِغَهُ أَنَّ مَجْنونًا خَطِرًا يَبْغُضُ نابُليون كانَ في مَسْكَنِهِ في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ . »

أَخَذَتْ لِيسْتريد ٱلدَّهْشَةُ فَقالَ : « أَوَ تَعْتَقِدُ حَقًّا أَنَّ ٱلأَمْرَ كَذٰلِكَ ؟ »

ضَحِكَ هُولمْز وَ قالَ : « لا ! لا ! وَ لٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ قُرّاءَ صَحيفَةِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر سَوْفَ يَقْرَأُونَ أَخْبارًا مُثيرَةً . وَ ٱلآنَ لا بُدَّ أَنْ نَذْهَبَ ، وَ لٰكِنْ أَرْجو أَنْ تَزورَنا في مَسْكَنِنا في شارِعِ بيكر في ٱلسّاعَةِ ٱلسّادِسَةِ مَساءَ ٱليَوْمِ . وَ لَعَلَّكَ تَأْذَنُ لي يا سَيِّدُ لِيسْتريد أَنْ أَحْتَفِظَ بِالصّورَةِ ٱلفوتوغْرافِيَّةِ ٱلَّتي وُجِدَتْ مَعَ

ٱلقتيل إلى أنْ نَلْتقي . وَ حينما تأتي إلى شارع بيكر أرْجو أنْ تكونَ مُسْتعِدًّا للذّهابِ مَعي إلى مَكانٍ ما . وَ إلى أنْ نَلْتقي .. أسْتَوْدِعُكَ ٱللّهَ ، وَ أرْجو لَكَ ٱلتّوفيقَ . »

الفصْلُ ٱلرّابعُ

سِرْتُ مَعَ شِرْلوك هُولمْز إلى هاي سْتريت وَ تَوَقّفْنا عِنْدَ مَنْحرِ ٱلإخْوة

هارْدِنغ . وَ كانَ عَدَمُ وُجودِ السّيّدِ هارْدِنغ مَبْعَثَ ضيقٍ لِهُولمْز ، وَ لِذٰلِكَ قَرّرَ أنْ يَزورَ ، بَدَلًا مِنْهُ ، مَتْجَرَ مُورْس هَدْسون ٱلّذي ٱشْتَرى مِنْهُ الدُّكْتور بارْنيكُوت تِمْثالَيْهِ .

كانَ مورْس هَدْسون عاصِبًا أشَدَّ ٱلغَضَبِ بِسَبَبِ تَحْطيمِ التِّمْثالَيْنِ ، وَ مَعَ ذٰلِكَ أجابَ عَنْ كُلِّ ما وَجَّهَهُ إلَيْهِ هُولمْز مِنْ أسْئلةٍ . فَقَدْ دَلّنا عَلى ٱلمَكانِ ٱلّذي تُصْنَعُ فيهِ ٱلتّماثيلُ ٱلصّفيّةُ ، وَ كانَ قَدِ ٱشْتَرى بَعْضَها مِنْهُ ، وَ ٱسْمُهُ عِيلْدَر وَ شُرَكاهُ ، وَ يَقَعُ في حَيٍّ آخَرَ مِنْ أحْياءِ لَنْدَن . ثُمَّ قالَ إنَّهُ لَنْ يَسْتَطيعَ أنْ يُساعِدَنا كَثيرًا فيما نَقومُ بِهِ مِنْ تَحرّياتٍ ، وَ لٰكِنْ حينَما أطْلَعَهُ هُولمْز عَلى ٱلصّورَةِ ٱلفوتُوغْرافيّةِ صاحَ : « هٰذا بِيتّو . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « مَنْ هُوَ بِيتّو ؟ »

أجابَ : « هُوَ إيطاليٌّ كانَ يَعْمَلُ في مَتْجَري ، وَ لٰكِنَّهُ تَرَكَ ٱلعَمَلَ في ٱلأُسْبوعِ ٱلماضي ، وَ لَسْتُ أعْرِفُ أيْنَ ذَهَبَ بَعْدَ ذٰلِكَ . » ثُمَّ أضافَ قائِلًا : « لَقَدْ تَرَكَ ٱلعَمَلَ قَبْلَ حادِثِ تَحْطيمِ ٱلتِّمْثالَيْنِ بِيَوْمَيْنِ فَرُبَّما يَكونُ هُوَ ٱلّذي قامَ بِتَحْطيمِهِما »

عادَ مَنْحَرَ مُورْس هَدْسون بَعْدَ أنْ شَكَرْناهُ . وَ كانَ هُولمْز سَعيدًا كُلَّ ٱلسَّعادَةِ بِالمَعْلوماتِ ٱلّتي زَوَّدَنا بِها صاحِبُ ٱلمَنْحَرِ ، وَ قَرَّرَ أنْ تَكونَ ٱلخُطْوَةُ ٱلتّالِيَةُ زِيارَةَ عِيلْدَر وَ شُرَكاهُ ، وَ هُوَ ٱلمَصْنَعُ ٱلّذي تُصْنَعُ فيهِ ٱلتّماثيلُ .

اِجْتَزْنا خِلالَ رِحْلَتِنا مَناطِقَ كَثيرةً مِنْ لَنْدَن ، مِنْها ما يَبْدو عَلَيْهِ الغِنى وَالثَّراءُ ، وَمِنْها ما يَبْدو عَلَيْهِ الفَقْرُ وَالبُؤْسُ ، حَتّى وَصَلْنا أَخيرًا إِلى سِتيبْني . وَهِيَ مِنْطَقَةٌ كانَتْ في وَقْتٍ ما مِنَ المَناطِقِ الغَنِيَّةِ ، أَمّا اليَوْمَ فَإِنَّ الَّذينَ يَسْكُنونَها مِنْ طَبَقَةِ العُمّالِ الفُقَراءِ ، وَكَثيرٌ مِنْهُم وافِدونَ إِلَيْها مِنْ بِلادٍ أُخْرى .

سَرْعانَ ما اهْتَدَيْنا إِلى مَتْجَرِ غِيلْدَر وَشُرَكاهُ ، وَكانَ الرَّجُلُ الَّذي اسْتَقْبَلَنا وَتَحَدَّثَ إِلَيْنا أَلْمانِيًّا . وَقَدْ أَخْبَرَنا أَنَّهُمْ صَنَعوا مِئاتٍ مِنْ هٰذِهِ التَّماثيلِ فيما مَضى ، أَمّا في هٰذا العامِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُنْتِجوا إِلّا سِتَّةً فَقَطْ ، ثَلاثَةً مِنْها بيعَتْ لِمُورْس هَدْسون ، وَثَلاثَةً لِإِخْوانِ هارْدِنغ . كَما أَخْبَرَنا أَنَّ تَكْلِفَةَ صُنْعِها زَهيدَةٌ ، وَأَنَّ مُعْظَمَ العُمّالِ الَّذينَ يَقومونَ بِصُنْعِها مِنَ الإِيطالِيِّينَ . وَحينَما أَطْلَعَهُ هُولمْز عَلى صُورَةِ الإِيطالِيِّ القَبيحِ غَضِبَ وَصاحَ : « هٰذا الرَّجُلُ سَيِّئٌ جِدًّا ، اسْمُهُ بِيُّو وَكانَ يَعْمَلُ هُنا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عامٍ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « لِماذا تَرَكَ العَمَلَ عِنْدَكُمْ ؟ »

أَجابَ الأَلْمانِيُّ : « لَقَدِ اعْتَدى عَلى إِيطالِيٍّ آخَرَ وَحاوَلَ أَنْ يَقْتُلَهُ بِسِكّينٍ في الشّارِعِ . وَقَدْ تَعَقَّبَهُ رِجالُ الشُّرْطَةِ إِلى هُنا وَاعْتَقَلوهُ ، وَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ سَنَةً واحِدَةً لِأَنَّ الإِيطالِيَّ المُعْتَدى عَلَيْهِ لَمْ يَمُتْ . » وَاسْتَطْرَدَ يَقولُ : « إِنَّ أَحَدَ أَصْدِقائِهِ يَعْمَلُ مَعَنا الآنَ ، فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « لا ! لا ! أَرْجو أَلّا تُخْبِرَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ .. أَرْجوكَ فَإِنَّ لِلأَمْرِ أَهَمِّيَّةً كَبيرَةً . »

قالَ الرَّجُلُ : « كَما تَشاءُ يا سَيِّدُ هُولمْز . »

قالَ هُولمْز : « لَدَيَّ سُؤالٌ آخَرُ : لَقَدْ لاحَظْتُ في سِجِلّاتِكَ أَنَّ التَّماثيلَ قَدْ بيعَتْ في اليَوْمِ الثّالِثِ مِنْ شَهْرِ يونْيه (حَزيران) في العامِ الماضي ، فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تُخْبِرَني مَتى اعْتَقَلَتِ الشُّرْطَةُ بِيُّو ؟ »

قالَ الرَّجُلُ : « نَعَمْ ، لَقَدْ كانَ آخِرُ أَجْرٍ تَقاضاهُ بِيُّو مِنّي في العِشْرينَ مِنْ مايو (أَيّار) في العامِ الماضي . فَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ قَدِ اعْتُقِلَ بَعْدَ ذٰلِكَ مُباشَرَةً . »

قالَ هُولمْز : « شُكْرًا جَزيلًا ، لَقَدْ كُنْتَ ذا عَوْنٍ كَبيرٍ لي . لا بُدَّ أَنْ أَنْصَرِفَ الآنَ ، وَأَرْجو أَلّا تَنْسى ما قُلْتُهُ لَكَ : لا تُخْبِرْ صَديقَ بِيُّو بِأَيِّ شَيْءٍ . »

كانَ الوَقْتُ قَدْ قارَبَ العَصْرَ ، وَكانَ الجوعُ قَدْ بَلَغَ مِنّا ما بَلَغَ ، وَلِذٰلِكَ رَأَيْنا أَنْ نَتَناوَلَ شَيْئًا مِنَ الطَّعامِ في أَحَدِ المَطاعِمِ قَبْلَ أَنْ نَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ . وَاشْتَرى هُولمْز إِحْدى الصُّحُف ، وَقَرَأْنا فيها القِصَّةَ المُثيرَةَ الَّتي كَتَبَها السَّيِّدُ هارْكَر عَنِ المَجْنونِ الَّذي يُبْغِضُ بابْليون . وَكانَ مُعْظَمُ ما جاءَ في القِصَّةِ غَيْرَ صَحيحٍ ، وَلٰكِنَّ هُولمْز أَخَذَ يَضْحَكُ وَيَضْحَكُ ، عَلى أَساسِ أَنَّ المَسْأَلَةَ لا تَعْدو أَنْ تَكونَ دُعابَةً لَطيفَةً .

قالَ هُولمْز : « مِنَ السَّهْلِ أَنْ تَجْعَلَ هٰؤُلاءِ النّاسَ يُعاوِنونَنا يا واطْسُن . » في الحَقيقَةِ ، لَمْ أَفْهَمْ ماذا قَصَدَ بِهٰذِهِ العِبارَةِ ، وَلٰكِنّي شارَكْتُهُ في

ٱلضَّحِكِ مِنَ ٱلقِصَّةِ ٱلسَّاذجةِ ٱلتي قَرَاناها في ٱلصَّحيفةِ .

بَعْدَ أَنْ فَرَغْنا مِنْ طَعامِنا ٱتَّجَهْنا مُباشرَةً إلى مَتْجَرِ ٱلإخوةِ هارْدِنغ ، وَكانَ ٱلسَّيِّدُ هارْدِنغ رَجُلًا ضَئيلَ ٱلجِسْمِ ، كَثيرَ ٱلمَشاغِلِ ، وَأَخَذَ يُجيبُ عَنْ أَسْئلَتِنا بِسُرْعةٍ وَوُضوحٍ ، وَتَبَيَّنَ مِنْ حَديثِنا مَعَهُ أَنَّهُ باعَ تِمْثالًا لِلسَّيِّدِ هارْكَر ، وَهُوَ ٱلتِّمْثالُ ٱلَّذي هُشِّمَ . كما باعَ تِمْثالًا آخَرَ لِلسَّيِّدِ حُوسْياه براوِن ٱلَّذي يُقيمُ في تْشيزْويك بِلَنْدَن . أَمَّا ٱلتِّمْثالُ ٱلثَّالِثُ فَقَدْ بيعَ لِلسَّيِّدِ

سانْدفورْد ٱلَّذي يُقيمُ في ريدنغ خارِجَ لَنْدَن .

بَدا واضِحًا عَلى هُولمْز ٱلاهْتِمامُ ٱلشَّديدُ بِهٰذِهِ ٱلمَعْلوماتِ ، وَقَدَّمَ ٱلشُّكْرَ لِلسَّيِّدِ هارْدِنغ . وَلَمَّا كانَ ٱلوَقْتُ مُتَأَخِّرًا فَقَدْ بادَرْنا بِالعَوْدةِ إلى شارِعِ بيكَر لِكَيْ نَسْتَقْبِلَ ضابِطَ ٱلمباحِثِ لِيسْتْريد .

الفصْلُ ٱلخامِسُ

عِنْدَما وَصَلْنا رَأَيْنا لِيسْتْريد في ٱنْتِظارِنا ، وَكانَ يَبْدو سَعيدًا راضِيًا .

بادَرَ لِيسْتْريد هُولمْز بِالسُّؤالِ : « هَلِ ٱهْتَدَيْتَ إلى شَيْءٍ مُهِمٍّ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « إِنَّنا نَعْرِفُ ٱلكَثيرَ عَنِ ٱلتِّماثيلِ ٱلآنَ . »

قالَ لِيسْتْريد : « ٱلتِّماثيلُ ؟ » ثُمَّ أَخَذَ يَضْحَكُ وَيَقولُ : « أَنا أَعْلَمُ أَنَّكَ مُخْبِرٌ ذَكِيٌّ يا سَيِّدُ هُولمْز . وَلٰكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّني ٱهْتَدَيْتُ إلى ما هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذٰلِكَ . »

قالَ هُولمْز : « إلامَ ٱهْتَدَيْتَ ؟ »

أَجابَ لِيسْتْريد : « إِنَّني أَعْرِفُ ٱلآنَ مَنْ هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلمَقْتولُ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّني ٱهْتَدَيْتُ إلى سَبَبِ قَتْلِهِ . »

قالَ هُولمْز مُبْتَسِمًا ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ بَقِيَّةَ ٱلحَديثِ : « عَظيمٌ جِدًّا يا سَيِّدُ لِيسْتْريد ! »

اِسْتَمَرَّ لِيسْتريد في حَديثِهِ فَقالَ : « لَدَيْنا في سكوتْلانْديارْد ضابِطُ مَباحِثَ يَعْرِفُ الكَثيرَ مِنَ الإيطاليِّينَ الَّذينَ يُقيمونَ في لَنْدَن ، وَهُوَ يَعْرِفُ الْقَتيلَ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً ، وَاسْمُهُ بيترو فِينُوتْشي . وَقَدْ كانَ لِصًّا خَطيرًا ، وَعُضْوًا في مُنَظَّمَةِ المافيا الإيطاليَّةِ السِّرِّيَّةِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ عَمَلَهُ في الْمُنَظَّمَةِ هُوَ مُعاقَبَةُ أَعْضائِها الَّذينَ يَخْرُجونَ عَلى نِظامِها وَقَواعِدِها ، وَالعِقابُ عادَةً هُوَ الْقَتْلُ . وَلا بُدَّ أَنَّ الرَّجُلَ صاحِبَ الصُّورَةِ الْفوتُوغْرافيَّةِ كانَ قَدْ خَرَجَ عَلى قَواعِدِ الْمُنَظَّمَةِ ، وَأَنَّ فِينُوتْشي كانَ يُطارِدُهُ . وَيَبْدو أَنَّ عِراكًا قَدْ نَشِبَ بَيْنَهُما ، وَأَنَّ فِينُوتْشي قُتِلَ في هٰذا العِراكِ . »

ابْتَسَمَ هُولْمز في وَجْهِ لِيسْتريد وَقالَ : « عَظيمٌ جِدًّا يا سَيِّدُ لِيسْتريد ! لَقَدْ كَشَفْتَ لي بِكُلِّ وُضوحٍ عَنْ سَبَبِ تَحْطيمِ التَّماثيلِ . »

قالَ لِيسْتريد بِصَوْتٍ يَكادُ يَكونُ صِياحًا : « هٰذِهِ التَّماثيلُ ! أَلا تَسْتَطيعُ أَنْ تَنْساها يا سَيِّدُ هُولْمز ؟ إِنَّها لَيْسَتْ بِذاتِ أَهَمِّيَّةٍ ... إِنَّ تَحْطيمَها جَريمَةٌ لا تَزيدُ عُقوبَتُها عَلى السِّجْنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ . إِنَّ بيترو فِينُوتْشي قَدْ قُتِلَ ، وَهٰذا وَحْدَهُ هُوَ الَّذي يَعْنِيني . »

قالَ هُولْمز في هُدوءٍ : « إِنَّني أُدْرِكُ وِجْهَةَ نَظَرِكَ . تُرى ماذا سَتَفْعَلُ بَعْدَ ذٰلِكَ يا سَيِّدُ لِيسْتريد ؟ »

أَجابَ لِيسْتريد : « سَأَذْهَبُ إِلى الْمِنْطَقَةِ الَّتي يُقيمُ فيها الإيطاليُّون في لَنْدَن لَعَلِّي أَهْتَدي إِلى صاحِبِ الصُّورَةِ الفوتوغْرافيَّةِ ، فَهَلْ تُحِبُّ أَنْ تَذْهَبَ مَعي ؟ »

قالَ هُولْمز وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ الاهْتِمام : « لا ، شُكْرًا لَكَ . أَعْتَقِدُ أَنَّنا نَسْتَطيعُ أَنْ نَهْتَدِيَ إِلَيْهِ بِسُهولَةٍ وَيُسْرٍ في مَكانٍ آخَرَ اللَّيْلَةَ . »

قالَ لِيسْتريد : « حَقًّا ؟ أَيْنَ ؟ »

قالَ هُولْمز : « في مَكانٍ في تُشيزْويك ، وَإِذا صَحِبْتَني اللَّيْلَةَ فَسَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكَ غَدًا إِلى أَيِّ مَكانٍ تَشاءُ . »

اعْتَرَتْ لِيسْتريد الدَّهْشَةُ ، لَكِنَّهُ وافَقَ عَلى ما اقْتَرَحَهُ هُولْمز .

تَناوَلْنا مَعًا الْعَشاءَ مُبَكِّرًا . ثُمَّ طَلَبَ هُولْمز مِنَّا - أَنا وَلِيسْتريد - أَنْ نَجْلِسَ لِنَسْتَريحَ حَتَّى الحادِيَةَ عَشْرَةَ مَساءً .

الحَقيقَةُ أَنَّ هُولْمز لَمْ يَسْتَرِحْ ، وَإِنَّما قَضى الوَقْتَ في غُرْفَتِهِ يَتَفَحَّصُ بَعْضَ الصُّحُفِ الْقَديمَةِ الَّتي يَحْتَفِظُ بِالكَثيرِ مِنْها في مَكْتَبِهِ . وَقَدْ جالَ في خاطِري أَنَّهُ رُبَّما كانَ يَبْحَثُ في هٰذِهِ الصُّحُفِ عَنْ مَعْلوماتٍ تَتَعَلَّقُ بِفِينُوتْشي أَوْ بِيِّو .

الفَصْلُ السَّادِسُ

اسْتَيْقَظْتُ أَنا وَلِيسْتريد في السَّاعَةِ العاشِرَةِ وَالنِّصْفِ . كانَ هُولْمز في انْتِظارِنا ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أُحْضِرَ مَعي مُسَدَّسي ، وَرَأَيْتُهُ ، قَبْلَ أَنْ نَبْرَحَ الْمَنْزِلَ ، يَلْتَقِطُ عَصاهُ الْمَتينَةَ الْمُحَبَّبَةَ الَّتي يَتَّكِئُ عَلَيْها .

رَكِبْنا ٱلسَّيَّارَةَ عَلى عَجَلٍ إلى تْشيزْويك حَيْثُ أَخَذَنا هُولمْز إلى مَنْزِلٍ في شارِعٍ مُظْلِمٍ . وَ خُيِّلَ إلَيْنا أَنَّ سُكّانَ ٱلمَنْزِلِ لا بُدَّ أَنْ يَكونوا قَدْ أَوَوْا إلى مَخادِعِهِمْ ، إذْ كانَ ٱلظَّلامُ ٱلحالِكُ وَ ٱلهُدوءُ ٱلشّامِلُ يُخَيِّمانِ عَلى ٱلمَنْزِلِ .

قالَ هُولمْز في صَوْتٍ خافِتٍ : « مِنْ حُسْنِ ٱلحَظِّ أَنَّ ٱلمَطَرَ لا يَهْطِلُ ، لِأَنَّنا قَدْ نُضْطَرُّ إلى ٱلٱنْتِظارِ فَتْرَةً طَويلَةً . وَ يَنْبَغي أَلّا نُدَخِّنَ ، وَ أَنْ نَكونَ في مُنْتَهى ٱلسُّكونِ ، وَ لٰكِنْ عِنْدي أَمَلٌ أَنَّنا مُقْبِلونَ عَلى ٱكْتِشافِ شَيْءٍ ما ٱللَّيْلَةَ . »

إنْقَضَتْ خَمْسُ دَقائِقَ . وَ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ما يَدْعو إلى أَنْ يَطولَ ٱنْتِظارُنا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ ، فَقَدْ رَأَيْنا بابَ ٱلحَديقَةِ يُفْتَحُ فَجْأَةً ، وَ لَمَحْنا رَجُلًا يُهَرْوِلُ عَبْرَ مَمَرِّ ٱلحَديقَةِ مُتَّجِهًا نَحْوَ ٱلمَنْزِلِ . كانَ ٱلظَّلامُ دامِسًا ، وَ كانَ ٱلرَّجُلُ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ ، حَتّى لَقَدْ كانَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ أَنْ نَتَبَيَّنَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ ٱخْتَفى في ٱلظَّلامِ . أَمّا نَحْنُ فَقَدْ بَقينا نَنْتَظِرُ صامِتينَ ، وَ كانَ أَوَّلُ ما سَمِعْنا بَعْدَ ذٰلِكَ هُوَ صَوْتَ نافِذَةٍ تُفْتَحُ في بُطْءٍ شَديدٍ ، ثُمَّ رَأَيْنا ضَوْءًا خافِتًا داخِلَ ٱلحُجْرَةِ ٱلأَماميَّةِ مِنْ حُجُراتِ ٱلمَنْزِلِ .

قالَ لِيسْتْريد : « هَلُمَّ بِنا إلى ٱلنّافِذَةِ ٱلمَفْتوحَةِ ، وَ مِنْ ثَمَّ نَسْتَطيعُ أَنْ نُمْسِكَ بِهِ حينَما يَخْرُجُ . »

لٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَتَحَرَّكَ رَأَيْنا ٱلرَّجُلَ يَتَّجِهُ إلى ٱلخارِجِ ثانِيَةً ، وَ ٱسْتَطَعْنا أَنْ نَلْمَحَ ، مِنْ خِلالِ ٱلضَّوْءِ ٱلمُنْبَعِثِ مِنَ ٱلحُجْرَةِ أَنَّهُ يَحْمِلُ شَيْئًا أَبْيَضَ تَحْتَ ذِراعِهِ ، وَ تَلَفَّتَ ٱلرَّجُلُ يَمْنَةً وَ يَسْرَةً لِيَرى هَلْ هُناكَ مَنْ يُراقِبُهُ . وَ فَجْأَةً

سَمِعْنا صَوْتَ ٱرْتِطامِ ٱلشَّيْءِ ٱلَّذي كانَ يَحْمِلُهُ بِالجِدارِ لِيَتَهَشَّمَ وَ يُصْبِحَ حُطامًا . وَ كانَ ٱلرَّجُلُ مَشْغولًا بِما فَعَلَ حَتّى إنَّهُ لَمْ يَرَنا وَ نَحْنُ نَتَّجِهُ إلَيْهِ .

وَ وَثَبَ هُولمْز عَلى ظَهْرِ ٱلرَّجُلِ فَهَوى إلى ٱلأَرْضِ بِشِدَّةٍ ، أَمّا أَنا وَ لِيسْتْريد فَقَدْ سارَعْنا لِمُعاوَنَةِ هُولمْز ، وَ كُنْتُ أُمْسِكُ بِمِسَدَّسي وَ أَنا مُسْتَعِدٌّ لِإِطْلاقِهِ إذا ٱقْتَضى ٱلأَمْرُ . وَ هٰكَذا أَصْبَحَ مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ عَلى ٱلرَّجُلِ أَنْ يُفْلِتَ وَ يَهْرُبَ .

تَطَلَّعَ إلَيْنا وَ هُوَ مُمَدَّدٌ عَلى ٱلأَرْضِ . وَ كانَ وَجْهُهُ في غايَةِ ٱلقُبْحِ ، وَ كانَ

واضِحًا أَنَّهُ قَدْ أَخَذَتْهُ ٱلدَّهْشَةُ وَ ٱلْغَضَبُ . وَ أَدْرَكْتُ عَلى ٱلْفَوْرِ أَنَّهُ صاحِبُ ٱلصُّورَةِ .

بَيْنَما كُنَّا نَحْتَجِزُ ٱلرَّجُلَ ، أَخَذَ هُولْمْز يَتَأَمَّلُ في ٱلْقِطَعِ ٱلْمُهَشَّمَةِ لِلتِّمْثالِ ، وكانَ تِمْثالًا آخَرَ مِنْ تَماثيلِ بانْلْيون . وَ راحَ هُولْمْز يَتَناوَلُ كُلَّ قِطْعَةٍ مِنْهُ وَ يَفْحَصُها تَحْتَ أَشِعَّةِ ٱلضَّوْءِ ، وَ عِنْدَما أَوْشَكَ أَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ فَحْصِهِ ، أَضاءَ شَخْصٌ أَنْوارَ ٱلْمَنْزِلِ ، وَ إِذا بِرَجُلٍ سَمينٍ قَصيرِ ٱلْقامَةِ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْمَنْزِلِ وَ يَتَّجِهُ إِلى هُولْمْز ثُمَّ يَقولُ وَ عَلى ثَغْرِهِ ٱبْتِسامَةٌ : « لا بُدَّ أَنَّكَ ٱلسَّيِّدُ شَرْلوك هُولْمْز . »

أَجابَ هُولْمْز : « نَعَمْ ، وَ لا بُدَّ أَنَّكَ ٱلسَّيِّدُ جوسْياه براوِن . »

« نَعَمْ يا سَيِّدي ، لَقَدْ نَفَّذْنا كُلَّ ما طَلَبْتَهُ مِنَّا : أَغْلَقْنا جَميعَ ٱلأَبْوابِ داخِلَ ٱلْمَنْزِلِ ، وَ أَطْفَأْنا جَميعَ ٱلأَنْوارِ ، ثُمَّ ٱنْتَظَرْنا في سُكونٍ تامٍّ . لَقَدْ قُمْتَ بِعَمَلٍ جَليلٍ يا سَيِّدي . أَرْجو أَنْ تَتَفَضَّلَ بِالدُّخولِ لِتَناوُلِ بَعْضِ ٱلطَّعامِ وَ ٱلشَّراب . »

قَدَّمَ هُولْمْز ٱلشُّكْرَ لِلسَّيِّدِ براوِن . وَ لٰكِنَّ لِيسْتِريد أَرادَ أَنْ يَقْتادَ ٱللِّصَّ إِلى مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ ، لِذا رَكِبْنا ٱلسَّيَّارَةَ جَميعًا مُتَّجِهينَ إِلى سْكُوتْلانْديارْد . وَ في أَثْناءِ ٱلطَّريقِ لَمْ يَنْطِقِ ٱللِّصُّ بِكَلِمَةٍ ، وَ إِنَّما كانَ يَرْنو بِعَيْنَيْهِ إِلَيْنا طَوالَ ٱلْوَقْتِ . وَ كانَ وَجْهُهُ يَبْدُو في غايَةِ ٱلنَّشاعَةِ . وَ عِنْدَما وَصَلْنا إِلى سْكُوتْلانْديارْد كانَ عَلَيْنا – أَنا وَ هُولْمْز – أَنْ نَنْتَظِرَ فَتْرَةً طَويلَةً لِكَيْ نَكْتَشِفَ

أَنَّ ٱلرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ في حَوْزَتِهِ شَيْءٌ إِلّا قَليلٌ مِنَ ٱلنُّقودِ ، وَ سِكِّينٌ طَويلَةٌ عَلِقَ بِها دَمٌ جافٌّ .

وَ حينَما كُنَّا نَتَأَهَّبُ لِلِانْصِرافِ قالَ لِيسْتِريد : « وَ ٱلآنَ يا سَيِّدُ هُولْمْز أَرى لِزامًا عَلَيَّ أَنْ أَشْكُرَ لَكَ كُلَّ ما قَدَّمْتَ مِنْ عَوْنٍ . وَ أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تُوافِقُني ٱلآنَ عَلى جَميعِ تَوَقُّعاتي ، فَقَدْ كانَتْ صائِبَةً . »

تَبَسَّمَ هُولْمْز وَ قالَ : « إِنَّ ٱلْوَقْتَ مُتَأَخِّرٌ ، وَ لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُوَضِّحَ لَكَ ٱلأَمْرَ ٱلآنَ ، وَ لٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تَرى فيما بَعْدُ أَنَّ مَسْأَلَةَ ٱلتَّماثيلِ ٱلصَّنَمِيَّةِ لَها مِنَ ٱلأَهَمِّيَّةِ أَكْثَرُ مِمَّا تَظُنُّ . فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَحْضُرَ لِمُقابَلَتي في ٱلسّاعَةِ ٱلسّادِسَةِ مِنْ مَساءِ ٱلْغَدِ ؟ »

قالَ لِيسْتِريد : « بِالتَّأْكيدِ ، إِنَّهُ لَيُسْعِدُني دائِمًا أَنْ أَزورَكَ ، وَ يَسُرُّني كَثيرًا أَنْ أَلْقاكَ . »

أَثْناءَ عَوْدَتِنا إِلى ٱلْمَنْزِلِ قالَ لي هُولْمْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّ لِيسْتِريد ضابِطُ مَباحِثَ مُمْتازٌ ، وَ لٰكِنْ – في هٰذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ – غابَتْ عَنْهُ بَعْضُ ٱلأَشْياءِ . وَ إِنِّي لَأَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْقَضِيَّةَ مِنْ أَغْرَبِ ٱلْقَضايا ٱلَّتي تَوَلَّيْتُها في حَياتي يا واطْسُن . »

قُلْتُ : « أَحَقًّا ؟ تُرى ما ٱلأَمْرُ ٱلْجَديدُ ٱلَّذي تَظُنُّ أَنَّهُ في حاجَةٍ إِلى ٱسْتِجْلاءٍ ؟ »

أَجابَ : « ٱلتَّماثيلُ يا واطْسُن ! أَعْتَقِدُ أَنَّها تُمَثِّلُ أَهَمَّ رُكْنٍ في هٰذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ . »

الفَصْلُ السَّابِعُ

في السَّاعةِ السَّادِسةِ مِنْ مَساءِ اليَوْمِ التَّالي جاءَ لِيسْتريد إلى شارِعِ بيكر لِيَلْقانا . وَكانَ قَدْ تَوَصَّلَ إلى مَعْلوماتٍ كَثيرةٍ عَنْ بِيتو : فَقَدْ وَجَدَ أَنَّهُ لِصٌّ مَشْهورٌ ، وَأَنَّهُ قَتَلَ عَدَدًا مِنَ النَّاسِ ، وَأَنَّهُ كانَ ماهِرًا في صُنْعِ التَّماثيلِ النِّصْفِيَّةِ وَغيرِها مِنَ التُّحَفِ الفَنِّيَّةِ ، وَأَنَّهُ كانَ يَعيشُ في لَنْدَن مُنْذُ سَنَواتٍ طَويلةٍ ، وَيُتْقِنُ الإنْجليزِيَّةَ ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّهُ هُوَ الَّذي صَنَعَ التَّماثيلَ النِّصْفِيَّةَ الَّتي في مَتْجَرِ غِيلْدَر وَشُرَكاهُ .

كانَ هُولمْز يُصْغي إلى ما يَقولُهُ لِيسْتريد وَعَلى وَجْهِهِ ابْتِسامةٌ ، وَلٰكِنّي أَدْرَكْتُ أَنَّ أَفْكارَهُ في الحَقيقةِ – مُنْصَرِفةٌ إلى شَيْءٍ آخَرَ . لَقَدْ كانَ يَعْرِفُ كُلَّ ما يُقَدِّمُهُ لِيسْتريد مِنْ مَعْلوماتٍ . وَكُنْتُ واثِقًا أَنَّهُ كانَ مُنْتَظِرًا أَنْ يُخْبِرَهُ بِشَيْءٍ لَمْ يَعْرِفْهُ مِنْ قَبْلُ .. شَيْءٍ يَبْعَثُ الإثارةَ وَالدَّهْشةَ .

دُقَّ جَرَسُ البابِ الخارِجيِّ ، ثُمَّ سَمِعْنا وَقْعَ خُطُواتِ شَخْصٍ قادِمٍ نَحْوَ بابِ الغُرْفةِ الَّتي كُنَّا جالِسينَ فيها ، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ كَبيرُ السِّنِّ أَحْمَرُ الوَجْهِ ، يَحْمِلُ حَقيبةً كَبيرةً ، وَضَعَها فَوْقَ المِنْضَدةِ ثُمَّ سَأَلَ : « هَلِ السَّيِّدُ شِرْلوك هُولمْز هُنا ؟ »

ابْتَسَمَ هُولمْز وَقالَ : « أَنا شِرْلوك هُولمْز ، وَأَنْتَ لا بُدَّ أَنْ تَكونَ السَّيِّدَ سانْد فورْد مِنْ ريدنغ . إِنَّني مَسْرورٌ بِلِقائِكَ . هٰذا صَديقي الدُّكْتور واطْسُن ، وَهٰذا هُوَ السَّيِّدُ لِيسْتريد مِنْ سْكوتْلانْديارْد . »

حَيَّا كِلانا السَّيِّدَ سانْد فورْد ، وَأَبْدى أَسَفَهُ لِتَأَخُّرِهِ في القُدومِ ، لِأَنَّ القِطارَ الَّذي رَكِبَهُ لَمْ يَصِلْ في ميعادِهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ هُولمْز أَنَّهُ أَحْضَرَ لَهُ تِمثالَ نابُلْيون . وَكانَ مَعَ الرَّجُلِ رِسالةٌ تَلَقّاها مِنْ هُولمْز ، فَوَجَّهَ إِلَيَّ وَإلى لِيسْتريد الكَلامَ قائِلًا :

« أَيُّها السَّيِّدانِ ، أُريدُ مِنْكُما أَنْ تَسْتَمِعا إلى ما جاءَ في رِسالةِ السَّيِّدِ هُولمْز الَّتي بَعَثَ بِها إِلَيَّ بِالأَمْسِ . » ثُمَّ شَرَعَ يَتْلوها :

« عَزيزي السَّيِّدَ سانْد فورْد : لَقَدْ عَلِمْتُ مِنَ السَّيِّدِ هارْدِنغ صاحِبِ مَتْجَرِ

آلتُّحَفِ آلعَيَّةِ الإخْوَةِ هارْدِنغ ، أنَّكَ قَدِ آشْتَرَيْتَ مِنْهُ آخِرَ تِمْثالٍ نِصْفِيٍّ مِنَ آلجَصِّ لِبابْلْيون كانَ في مَتْجَرِهِ ، وَلَمَّا كانَتْ رَغْبَتي شَديدةً في آقْتِناءِ هٰذا آلتِّمْثالِ ، فإنِّي أعْرِضُ عَلَيْكَ عَشَرَةَ جُنَيْهاتٍ ثَمَنًا لَهُ . فإذا وافَقْتَ أرْجو آلتَّفَضُّلَ بِإحْضارِهِ إلى مَسْكَني بِشارِعِ بِيكَر بِلَنْدَن ، غَدًا في آلسّاعَةِ آلسّادِسَةِ وَآلنِّصْفِ .

المُخْلِصُ

شِرْلُوك هُولْمْز

بَعْدَ أنْ تَلا آلرِّسالَةَ سَأَلَ هُولْمْز : « هَلْ تَعْرِفُ آلثَّمَنَ آلَّذي آشْتَرَيْتُ بِهِ هٰذا آلتِّمْثالَ ؟ »

قالَ هُولْمْز : « لا ! »

قالَ آلرَّجُلُ : « حَسَنًا ! إنَّني لَسْتُ لِصًّا يا سَيِّدُ هُولْمْز ! لَقَدْ دَفَعْتُ فَقَطْ – خَمْسَةَ عَشَرَ شِلِنًا ثَمَنًا لَهُ ، فَإذا لَمْ تَكُنْ راغِبًا في شِرائِهِ آلآنَ بَعْدَ أنْ عَرَفْتَ ثَمَنَهُ آلحَقيقِيَّ – فَإنَّ ذٰلِكَ يُسْعِدُني كَثيرًا . »

قالَ هُولْمْز : « أنا لا أزالُ راغِبًا في آقْتِناءِ آلتِّمْثالِ . هاكَ عَشَرَةَ جُنَيْهاتٍ . »

قَدَّمَ هُولْمْز آلنُّقودَ إلى آلسَّيِّدِ سانْدفُورْد ، آلَّذي شَكَرَ هُولْمْز ، ثُمَّ فَتَحَ آلحَقيبَةَ وَأخْرَجَ مِنْها تِمْثالًا نِصْفِيًّا مِنَ آلجَصِّ لِنابْلْيون ، يُشْبِهُ بَقِيَّةَ آلتَّماثيلِ .

قالَ هُولْمْز : « شُكْرًا يا سَيِّدُ سانْدفُورْد . وَآلآنَ ، قَبْلَ أنْ نَذْهَبَ ، أُريدُ أنْ تُوَقِّعَ بِآسْمِكَ عَلى هٰذِهِ آلوَرَقَةِ آلَّتي تَتَضَمَّنُ أنَّكَ بِعْتَ لِيَ آلتِّمْثالَ بِعَشَرَةِ جُنَيْهاتٍ ، وَأنَّهُ أصْبَحَ آلآنَ مِلْكًا لي . »

قالَ سانْدفُورْد وَهُوَ يُوَقِّعُ بِآسْمِهِ عَلى آلوَرَقَةِ : « بِالتَّأكيدِ ! » ثُمَّ غادَرَ آلمَكانَ ، وَسَمِعْنا صَوْتَ آلبابِ آلأمامِيِّ وَهُوَ يُغْلَقُ عَقِبَ خُرُوجِهِ .

الفَصْلُ آلثّامِنُ

لَمْ يَكَدِ آلسَّيِّدُ سانْدفُورْد يُغادِرُ آلمَنْزِلَ حَتّى أحَدَ هُولْمْز يَقومُ بِبَعْضِ آلتَّصَرُّفاتِ آلغَريبَةِ ، وَكُنّا أنا وَلِيسْتْريد نُراقِبُهُ بِآهْتِمامٍ .

كانَ أوَّلُ ما فَعَلَهُ أنْ أخْرَجَ قِطْعَةَ قُماشٍ بَيْضاءَ نَظيفَةً مِنَ آلصُّوانِ ، وَبَسَطَها عَلى آلمِنْضَدَةِ ، ثُمَّ وَضَعَ آلتِّمْثالَ بِعِنايَةٍ . وَتَناوَلَ عَصاهُ وَضَرَبَ بِها آلتِّمْثالَ بِشِدَّةٍ فَتَهَشَّمَ قِطَعًا صَغيرَةً . وَهُنا صاحَ هُولْمْز صَيْحَةً عالِيَةً ، وَآلتَقَطَ مِنْ فَوْقِ قِطْعَةِ آلقُماشِ شَيْئًا صَغيرًا أسْوَدَ ، وَقالَ وَنَحْنُ نَتَطَلَّعُ إلَيْهِ في صَمْتٍ : « هٰذِهِ هِيَ لُؤْلُؤَةُ بورْجيا آلسَّوْداءُ ! »

الحَقُّ لَقَدْ أخَذَتْنا دَهْشَةٌ شَديدَةٌ ، وَلَمْ أَلْبَثْ أنْ هَتَفْتُ : « يا لَعَبْقَرِيَّتِكَ يا هُولْمْز ! كَيْفَ عَرَفْتَ أنَّ آللُّؤْلُؤَةَ كانَتْ في آلتِّمْثالِ ؟ »

وَقالَ لِيسْتْريد في هُدوءٍ : « هٰذا مُسْتَحيلٌ ! »

شَرَعَ هُولْمْز يُوَضِّحُ لَنا آلأمْرَ فَقالَ : « إنَّ هٰذِهِ آللُّؤْلُؤَةَ تُعَدُّ أثْمَنَ لُؤْلُؤَةٍ في

ٱلعالَمِ ، وَكانَتْ قَدْ سُرِقَتْ مِنْ غُرْفَةِ ٱلفُنْدُقِ ٱلَّذي تَنْزِلُ فيهِ أَميرةُ كُولُونّا في ٱلثّاني وَٱلعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ مايُو (أَيّارَ) مُنْذُ عامٍ مَضى . » ثُمَّ وَجَّهَ ٱلكَلامَ إلى لِيسْتريد قائِلًا : « أَنْتَ ، بِالطَّبْعِ ، تَذْكُرُ هٰذا ٱلحادِثَ يا سَيِّدُ لِيسْتريد . »

أَجابَ لِيسْتريد : « نَعَمْ أَذْكُرُهُ . »

إِسْتَمَرَّ هُولمْز في حَديثِهِ قائِلًا : « حَسَنًا ، لَعَلَّكَ تَذْكُرُ أَيْضًا أَنَّ ٱلفُنْدُقَ ٱلَّذي كانَتْ تَنْزِلُ بِهِ قَريبٌ مِنَ ٱلمِنْطَقَةِ ٱلَّتي يَقَعُ فيها مَتْجَرُ غِيلْدَر وَشُرَكائِهِ ، وَلَقَدْ ظَنَّتِ ٱلشُّرْطَةُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ سَرَقَتْها فَتاةٌ إيطالِيَّةٌ كانَتْ تَعْمَلُ في

ٱلفُنْدُقِ وَتُدْعى لوكْريتيا فِينُوتْشي ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي قُتِلَ مُنْذُ يَوْمَيْنِ وَٱلمُسَمّى بِيتْرو كانَ شَقيقَها .

« لَقَدْ تَصَفَّحْتُ ما عِنْدي مِنَ ٱلصُّحُفِ ٱلقَديمَةِ ، وَٱكْتَشَفْتُ أَنَّ بِيُّو أُدْخِلَ ٱلسِّجْنَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فَقَطْ مِنْ سَرِقَةِ ٱللُّؤْلُؤَةِ ، وَفي ٱلفَتْرَةِ نَفْسِها ٱلَّتي صُنِعَتْ فيها ٱلتَّماثيل . وَأَظُنُّ أَنَّ بِيتْرو فِينُوتْشي وَ بِيُّو قَدِ ٱشْتَرَكا في سَرِقَةِ ٱللُّؤْلُؤَةِ . وَهُناكَ ٱحْتِمالٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَن فِينُوتْشي سَرَقَتْها مِنْ بِيُّو . عَلى أَيَّةِ حالٍ لَيْسَ لِهٰذا أَهَمِّيَّةٌ ، وَإِنَّما ٱلمُهِمُّ هُوَ أَنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ كانَتْ مَعَ بِيُّو حينَما حاوَلَتِ ٱلشُّرْطَةُ ٱعْتِقالَهُ عَقِبَ ٱلعِراكِ ٱلَّذي نَشِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إيطالِيٍّ آخَرَ في ٱلشّارِعِ ، حَيْثُ جَرى إلى مَتْجَرِ غِيلْدَر وَأَرادَ أَنْ يُخْفِيَ ٱللُّؤْلُؤَةَ ، وَلٰكِنْ أَيْنَ ؟ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ فُسْحَةٌ مِنَ ٱلوَقْتِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمَحَ تَماثيلَ نابُلْيُون ٱلجِصِّيَّةَ ٱلَّتي كانَتْ قَدْ صُبَّتْ مُنْذُ فَتْرَةٍ وَجيزَةٍ ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ جَفَّتْ بَعْدُ ، فَدَسَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ في إِحْداها وَغَطّى ٱلثَّقْبَ ٱلَّذي أَحْدَثَهُ . وَلَقَدِ ٱسْتَطاعَ أَنْ يَقومَ بِهٰذِهِ ٱلعَمَلِيَّةِ في سُرْعَةٍ وَيُسْرٍ لِأَنَّهُ سَبَقَ أَنْ صَنَعَ كَثيرًا مِنَ ٱلتَّماثيلِ ٱلمُماثِلَةِ فيما مَضى ، وَكانَ هٰذا خَيْرَ مَكانٍ يُمْكِنُ أَنْ يُخْفِيَ فيهِ ٱللُّؤْلُؤَةَ .

زُجَّ بِيُّو في ٱلسِّجْنِ لِمُدَّةِ سَنَةٍ بِسَبَبِ ٱلعِراكِ . وَفي أَثْناءِ هٰذِهِ ٱلفَتْرَةِ بيعَتِ ٱلتَّماثيلُ ٱلسِّتَّةُ . وَلٰكِنْ – لِحُسْنِ حَظِّهِ – كانَ لَهُ صَديقٌ يَعْمَلُ عِنْدَ غِيلْدَر وَشُرَكائِهِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا ٱلصَّديقَ ٱسْتَطاعَ أَنْ يُزَوِّدَهُ بِأَسْماءِ ٱلَّذينَ ٱشْتَرَوُا ٱلتَّماثيلَ .

كانَ هُناكَ سِتَّةٌ مِنْ هٰذِهِ ٱلتَّماثيلِ ، خَمْسةٌ مِنْها في لَنْدَن ، وَواحِدٌ في ريدنغ . وَهٰكَذا شَرَعَ بِيُّو في ٱلبَحْثِ عَنْ ٱلتِّمْثالِ ٱلَّذي يَحْوي ٱللُّؤْلُؤَةَ . وَبِالطَّبْعِ ، كانَ مِن ٱلأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَبْدَأَ ٱلبَحْثَ في لَنْدَن ، وَيَبْدو أَنَّ فِينُوتْشي ٱكْتَشَفَ أَنَّ بِيُّو قَدْ عَرَفَ مَكانَ ٱللُّؤْلُؤَةِ . وَلِذٰلِكَ حاوَلَ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ عَقِبَ خُروجِهِ مِنَ ٱلسِّجْنِ ، فَلَمَّا وَجَدَهُ تَبِعَهُ إِلى مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر في كينسِنْغتون . وَقامَتْ بَيْنَهُما مَعْرَكَةٌ ٱنْتَهَتْ بِأَنْ قَتَلَ بِيُّو فِينُوتْشي .

هُنا سَأَلَ لِيسْتِريد : « إِذا كانَ فِينُوتْشي يَعْرِفُ بِيُّو مَعْرِفَةً وَثيقَةً فَلِماذا كانَ يَحْمِلُ صُورَتَهُ ٱلفوتوغرافِيَّةَ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « لِكَيْ يَسْتَخْدِمَها أَثْناءَ ٱلبَحْثِ عَنْ بِيُّو ، فَيَسْأَلَ عَمَّا إِذا كانَ أَحَدٌ قَدْ شاهَدَ صاحِبَ ٱلصُّورَةِ . وَبِالطَّبْعِ ، لَمْ أَكُنْ مُتَأَكِّدًا أَنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ لَيْسَتْ في تِمْثالِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ، وَلٰكِنَّني حَذَّرْتُ جُوسْياه براوِن وَأُسْرَتَهُ . وَٱلحَقُّ أَنَّنا كُنَّا مَحْظوظِينَ – كَما تَعْلَمانِ – إِذْ لَمْ تَكُنِ ٱلْؤْلُؤَةُ في تِمْثالِ ٱلسَّيِّدِ هارْكَر ، فَلَمَّا ذَهَبَ بِيُّو إِلى مَنْزِلِ ٱلسَّيِّدِ براوِن وَأَمْسَكْنا بِهِ هُناكَ ؛ أَدْرَكْتُ وَقْتَئِذٍ أَنَّ ٱللُّؤْلُؤَةَ لابُدَّ أَنْ تَكونَ في تِمْثالِ ٱلسَّيِّدِ سانْد فُورْد .

« لَقَدْ كانَتِ ٱلقِصَّةُ ٱلَّتي كَتَبَها ٱلسَّيِّدُ هارْكَر في صَحيفَتِهِ ذاتَ عَوْنٍ لَنا ، فَلَقَدْ جَعَلَتْ بِيُّو يَعْتَقِدُ أَنَّ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ يَتَّجِهُونَ في بَحْثِهِمِ ٱتِّجاهًا خاطِئًا ، حَيْثُ ظَنَّ أَنَّهُمْ يَبْحَثونَ عَنْ رَجُلٍ مَجْنونٍ يَبْغُضُ نابْلْيون ، وَلَمْ يَخْطُرْ بِبالِهِ أَنَّني ٱكْتَشَفْتُ ٱلسِّرَّ ٱلحَقيقِيَّ لِلتَّماثيلِ . وَٱلآنَ في أَيدينا ٱللُّؤْلُؤَةُ ، وَٱلرَّجُلُ ٱلَّذي قَتَلَ فِينُوتْشي . »

قالَ لِيسْتِريد : « يا سَيِّدُ هُولمْز ، لَقَدْ رَأَيْتُكَ تَعْمَلُ في قَضايا كَثيرةٍ فيما مَضى ، وَلٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةَ تَقِفُ في مُقَدِّمَتِها جَميعًا . وَأَنا واثِقٌ أَنَّ أَصْدِقائي في سْكوتْلانْديارْد سَوْفَ تُبْهِرُهُمُ ٱلقَضِيَّةُ وَطَريقَةُ حَلِّها ، فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَحْضُرَ لِتَلْتَقِيَ بِهِمْ غَدًا ؟ إِذا ٱسْتَطَعْتَ فَأَنا واثِقٌ أَنَّهُمْ سَيَكونُونَ سُعَداءَ بِالتَّحَدُّثِ إِلَيْكَ . »

قالَ هُولمْز : « إِنَّهُ لَيُسْعِدُني أَنْ أَحْضُرَ . شُكْرًا لَكَ . »

قالَ لِيسْتِريد ، « أَنا ٱلمَدينُ لَكَ بِالشُّكْرِ : فَلَمْ أَفْهَمْ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةَ حَقَّ ٱلفَهْمِ ، وَلَوْلا مَعونَتُكَ لَما كانَ في مَقْدوري أَنْ أَجِدَ ٱللُّؤْلُؤَةَ قَطُّ . »

ٱبْتَسَمَ هُولمْز لِلَحْظَةٍ ، وَخَفَضَ بَصَرَهُ ناظِرًا إِلى ٱلأَرْضِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْري ما ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَقولَهُ ، ثُمَّ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ فَجْأَةً وَقالَ : « وَٱلآنَ يا واطْسُن ، إِنَّ لَدَيْنا عَمَلًا يَنْتَظِرُنا . فَهٰذِهِ لَيْسَتِ ٱلقَضِيَّةَ ٱلوَحيدَةَ ٱلَّتي أَمامَنا . إِلى ٱللِّقاءِ يا لِيسْتِريد ، وَإِذا كانَ لَدَيْكَ قَضايا صَغيرةٌ أُخْرى ، فَإِنَّهُ يُسْعِدُني أَنْ أُساعِدَكَ فيها ... إِذا كانَ ذٰلِكَ في ٱسْتِطاعَتي . »

مغامرات شرلوك هولمز

١ ــ العصابة المرقطة وقصتان أخريان

٢ ــ النظارة الذهبية وقصتان أخريان

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم الجرد كمبيوتر 01 C 138 402